تاريخ العرب والعالم

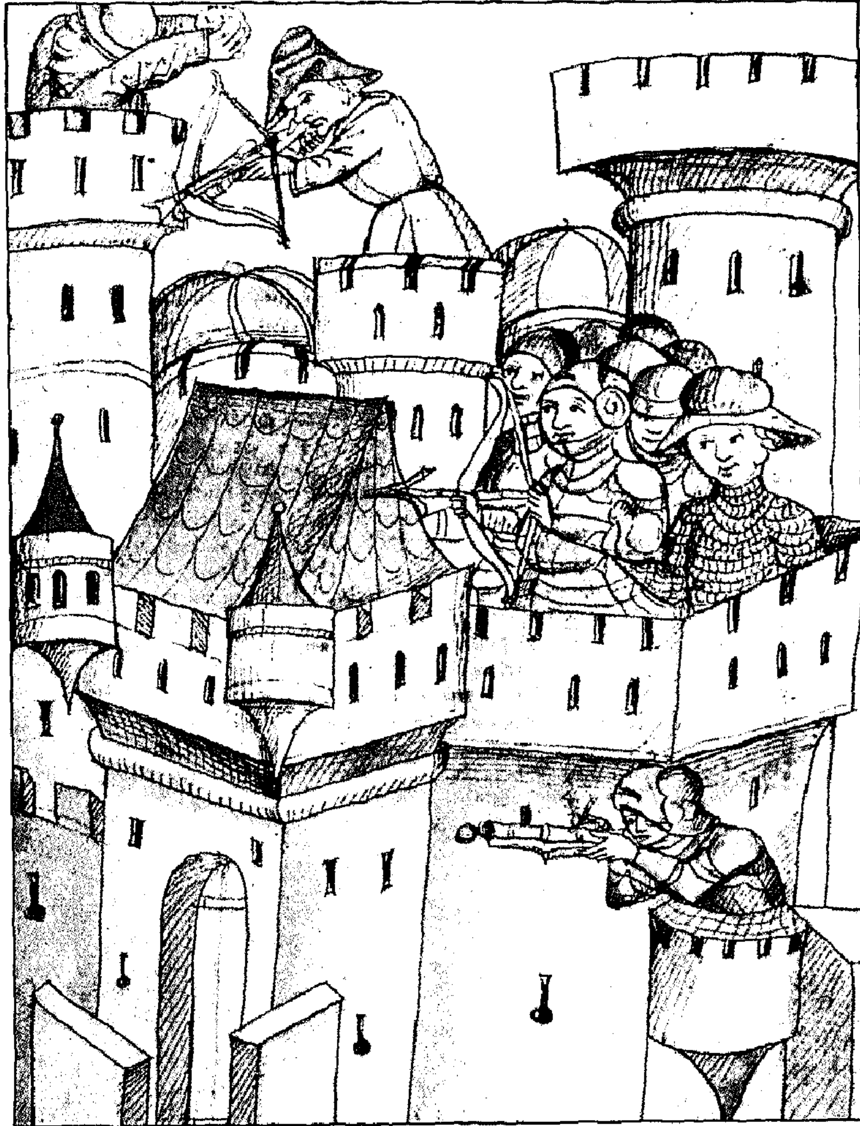
مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الثانية - العدد الرابع والعشرون - تشرين الأول (اوكتوبر) ١٩٨٠ - الموافق ذو القعدة ١٤٠١ هـ.

- "الكسب" مصنف الامام الشيباني
- ابن سينا قائداً للفكر التربوي
- العناية بالطفل والمرضعات في الطب العربي
- علم الآثار والمدنية المصرية
- المافيا
- تاريخ القهوة



الماضي الذي سيأتي في عددنا المقبل



من الطبنجة... الى البندقية



جمال الدين الأفغاني

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الثانية - العدد الرابع والعشرون - تشرين الأول (اوكتوبر) ١٩٨٠ - الموافق ذو القعدة ١٤١١هـ.

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

الإنتاج : مطبعة المتوسط ش.م.ل. ● التوزيع : الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان :	٤ ل.ل.	سوريا :	٦ ل.س
العراق :	٧٠٠ فلس	ليبيا :	٨٠٠ درهم
السعودية :	٧ ريال	الكويت :	٥٠٠ فلس
الاردن :	٥٠٠ فلس	أبوظبي :	٨ درهم
دبي :	٨ درهم	قطر :	٧ ريال
البحرين :	٧٠٠ فلس	المغرب :	٥ درهم
مسقط :	٨٠٠ بيزة	بريطانيا :	جنيه استرليني

الإشتراكات

(بما فيها أجور البريد الجوي)

في لبنان : للأفراد	٧٥ ل.ل.
للمؤسسات والدوائر الحكومية	٢٠٠ ل.ل.
في الوطن العربي : للأفراد	١٠٠ ل.ل.
للمؤسسات والدوائر الحكومية	٢٥٠ ل.ل.
خارج الوطن العربي : للأفراد	١٥٠ ل.ل.
للمؤسسات والدوائر الحكومية	٣٠٠ ل.ل.

تدفع قيمة الإشتراك مقدماً نقداً أو حوالة مصرفية أو بريدية.

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان ● بناية أبو هليل - شقة ١١ ● شارع السادات - تلفون : ٨٠٠٧٨٣

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. 800783
BEIRUT, LEBANON

VOL. 2, No. 24. Oct. 1980
ANNUAL SUBSCRIPTION
$75 (INCLUDING $25 FOR
ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMUNICATIONS,
INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
"HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD"

تاريخ العرب والعالم

• الكسب مصنف الامام الشيباني
• ابن سينا قائداً للفكر التربوي
• العناية بالطفل والمرضعات في الطب العربي
• علم الآثار والمدنية المصرية
• المافيا
• تاريخ القهوة



موقعة «سمالا» - ١٦ ايار ١٨٤٣
لوحة لـ «الفريد ديكايين»
شانتيللي - متحف كوندي
(راجع المقال ص ٣١)

في هذا العدد

● المقالات الواردة توزَّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص. ب ٥٩٠٥ في بيروت.
● المقالات والدراسات التي تُنشَر لا تعبِّر بالضرورة عن آراء المجلة.
● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تُنشَر.

الكسب

تصنيف الامام محمد بن الحسن الشيباني

د. سهيل زكار



تميز المجتمع الاول الذي قام الاسلام في وسطه بسيطرة الروح التجارية عليه، والنبي (صلعم) نفسه شارك قبل البعثة بالاعمال التجارية، ويلاحظ من قراءة السور المكية في القرآن مع مختلف مصادر تاريخ مكة قبل الاسلام واثناء الدعوة إليه قبل الهجرة، مدى انغماس المكيين في اعمال التجارة، وكيف أن السعي وراء الكسب كان هدف جل رجالاتهم، وذلك بلا ضوابط او روادع، ولهذا يمكن القول بأن الفترة المكية من تاريخ الاسلام كانت فترة صراع ضد التجار اكثر منها صراعاً دينياً، ذلك ان مكة لم يكن فيها رجال دين، ولا حكومة منظمة بل أديرت من قبل التجار وأصحاب الأموال.

هذا وقد أسهم المكيون في عدد من الاعمال ذات الصلة المباشرة بالتجارة، مثل بعض الاعمال الزراعية خارج مكة، وبعض الاعمال الصناعية مثل دباغة الجلود، كما عقدوا المعاهدات التجارية واتفاقات للمرور.

وبعد الهجرة إلى المدينة تغيرت طبيعة الاجواء التي عاشها المسلمون، فالمدينة تميزت بطبيعتها الزراعية مع وجود بعض الحرف فيها التي مارسها اليهود من حدادة وصياغة وما ناظرها.

وعلى هذا الاساس عاش الاسلام في تاريخه المبكر تجربة اقتصادية شبه كاملة، فيها تجارة وصناعة وزراعة وتربية مواشي وحيوانات، وقام هذا الدين الحنيف بالتشريع لهذه الجوانب الاقتصادية، ودون الوقوف طويلاً عند مدى التجديد في التشريع الجديد ومدى الفوارق بينه وبين الأعراف التي كانت سائدة من قبل، يكفينا القول انه وجد في الاسلام



أسس تشريع كامل منظم للحياة الاقتصادية، كما ان قانون الحرب في الاسلام قد تولى مسألة توزيع الغنائم وموارد الحرب، كما ان النظام الضرائبي قد عالج مسائل الجباية مع اوجه الصرف.

وهكذا عندما تأسست نواة الامة الاسلامية الاولى في التاريخ، وقام لها دولة الاسلام المركزية الاولى في المدينة كان هناك نظام اقتصادي شامل منظم لجميع اوجه الحياة، وبعد وفاة النبي (صلعم)، وفي عهد الخلفاء الراشدين، ألم بهذا النظام بعض التطور، خاصة إثر نجاح اعمال الفتوحات الكبرى، فقد أزالت هذه الفتوحات الامبراطورية الساسانية من الوجود، وحررت الشام ومصر ثم الشمال الافريقي من الحكم البيزنطي، ونتيجة لهذا تبدلت صورة العالم القديم سياسياً وعسكرياً، وتغيرت معالمه الاقتصادية، حيث تغيرت طرق التجارة، وتبدلت مقاصد التجار وغاياتهم مع انواع البضائع المتاجر بها، فلم تعد كل الطرق تقود إلى روما بل إلى حواضر الاسلام.

لقد اعتبر بعض المؤرخين هذا الحدث من اخطر ما وقع في التاريخ الانساني، وعده هنري بيرين البداية الحقة لقيام العصور الوسطى في أوروبا، ذلك ان اوروبا الغربية طوقت الآن بحزام امتد عبر البحر المتوسط من الشرق إلى الغرب، وكانت طبيعة هذا الحزام جديدة من كافة الجوانب: الاقتصادية، والثقافية، والقانونية، والبشرية، واللغوية والحضارية العامة.

ومن المعلوم ان النظام البيزنطي كان قد



اعتمد في العمل التجاري والاقتصادي على قواعد اختلفت عما كان موجوداً لدى الامبراطورية الساسانية، ثم إن البيزنطيين تعاملوا بالوحدة النقدية الذهبية، ومع اتساع رقعة الدولة الاسلامية وبداية الاستقرار خاصة مع عصر عبد الملك بن مروان ظهرت الحاجة إلى وحدة نقدية رسمية اسلامية، وهكذا قام عبد الملك بن مروان بتعريب الدنانير مع الدواوين.

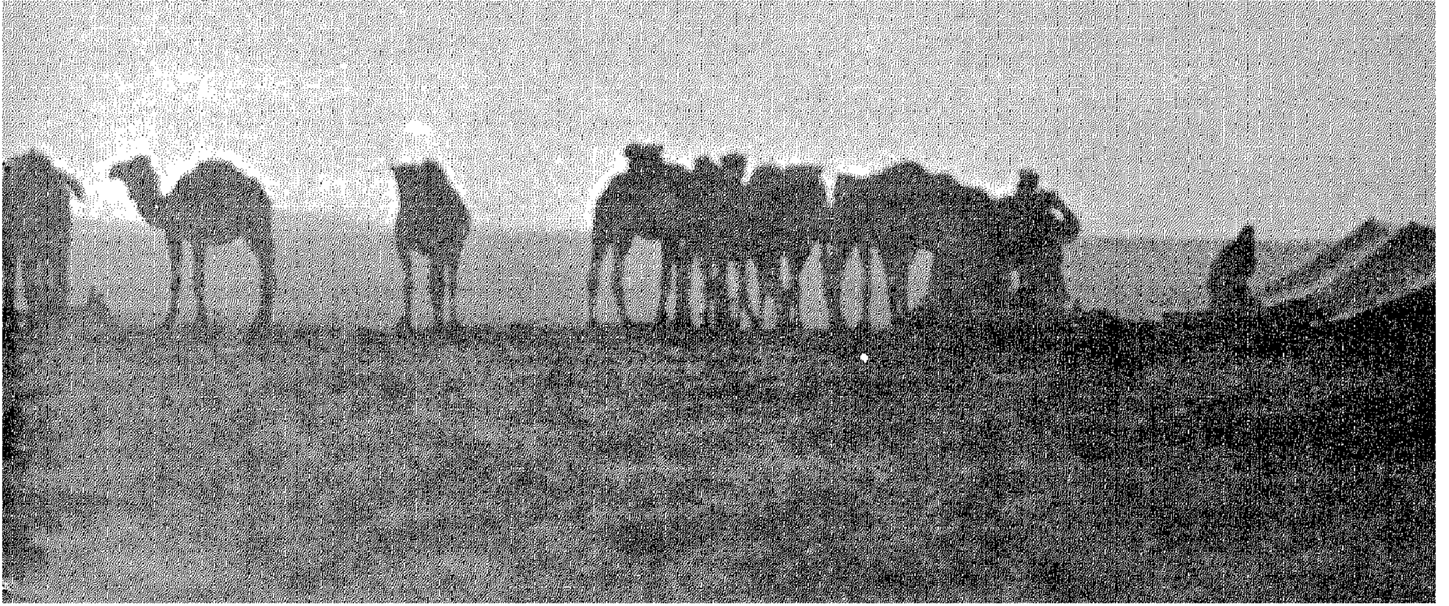
فعبد الملك بن مروان الذي يعد عن جدارة المؤسس الثاني للخلافة الاموية، ادرك ان دولته التي أعاد توحيدها سياسياً ينبغي ان ترتبط بوحدة نقدية، ونظام اداري واحد، لهذا شرع في تعريب الدواوين، وبهذا العمل يمكن القول بأن الدول العربية المستقلة، او بالحرى المتميزة، جاءت فعلاً إلى الوجود، وان عمليات الفتح العسكري قد بدأت تتحول إلى تغيير للأرض والانسان، وهكذا حلت العربية الشمالية محل الاغريقية واللاتينية والفارسية، وبذلك طويت صفحة طويلة من صفحات التاريخ القديم، وبدأت صفحة جديدة، هي صفحة العروبة وحضارة الاسلام.

وتعريب الدواوين كان من معانيه ايضاً إيجاد طبقة ادارية عربية مثقفة، وآذن ذلك ببداية عصر التدوين للآثار العربية والثقافية الاسلامية، كما آذن بتعريب البلدان الاسلامية، وساعد على ترويج دعوات المساواة وإقامة الامة الاسلامية الجديدة.

وتوحيد المعاملات النقدية، وايجاد صيغة تعادلية ثابتة بين الذهب والفضة وهو ما عرف عادة باسم «تعريب الدنانير» لا يقل اهمية عن مسألة تعريب الدواوين، فالبلاد التي دخلت في حوزة المسلمين انتهى فيها الآن العمل بالانظمة النقدية المختلفة، ولقد كان لهذه الانظمة قبل إلغائها أسوأ الآثار على المعاملات التجارية والحياة الاقتصادية عامة، كما كانت حائلاً دون زوال الحواجز الاقتصادية وبالتالي معيقاً دون قيام وحدة اقتصادية للبلاد الاسلامية، كما كان للاختلاف بالتعامل النقدي آثار سيئة على عمليات الجباية والصرف داخل الدولة، ثم إن توضح معالم الاستقرار في الدولة الاسلامية، والشروع في التميز الحضاري كشرط لنجاح التميز الديني فرض عدم متابعة ضرب النقود حسب طرائق الحكومات البائدة، فالإسلام يجب ما قبله، ثم إن تحديد التعامل النقدي، وضرب الدينار من قبل الدولة انهى فترة من الفوضى والاستغلال قامت بسبب الأعمال العسكرية ونتيجة لها.

من هنا يمكن ان نرى تغير الصورة الاقتصادية والحضارية للعالم القديم، وتطويق اوروبا الغربية حيث غرقت في ظلام العصور الوسطى، بينما عاش سواها في ظل الحضارة العربية الاسلامية الوارف.

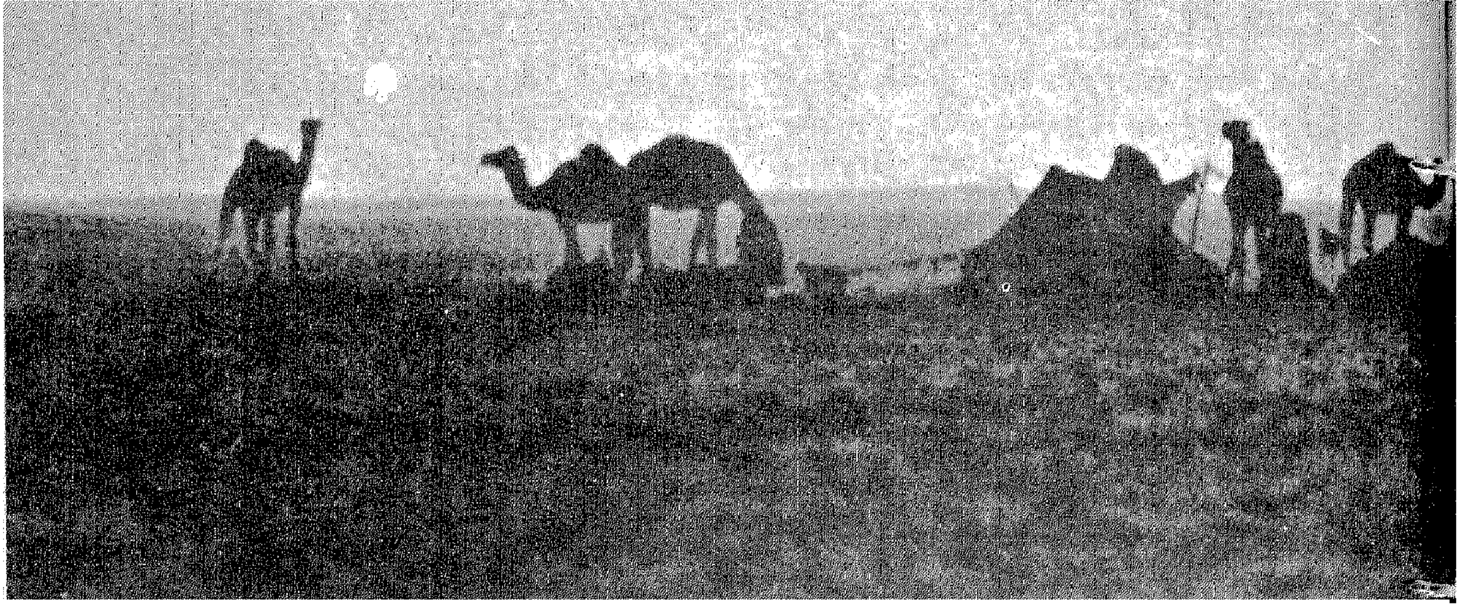
ولقد فرض تطور الدولة الاسلامية،



واتساع رقعتها تطوير النظام الاقتصادي فيها، ولا شك ان الخلفاء مع الفقهاء ورجال الشريعة والإدارة قد تعاونوا في هذه المجالات، وفي نفس الوقت حدثت تجاوزات اقتصادية كبيرة لروح الشريعة الاسلامية، وقف الفقهاء منها موقف الناقد والمقوم، وهكذا تجمع مع الايام لدى المسلمين تراث تشريعي اقتصادي كبير، ومع قيام حركة جمع التراث الاسلامي والعربي وتدوينه نالت المواد المتعلقة بالجوانب الاقتصادية حظها، وصنفت في ابواب خاصة في داخل المدونات من كتب الحديث وسواها، ومع قيام مدارس التشريع الاسلامية في القرن الثاني للهجرة وما رافق ذلك من انقلابات اقتصادية، اهتم بعض المحدثين والفقهاء من هذه المدارس بالجوانب المتعلقة بالحياة الاقتصادية ككل او كجزء وهكذا جاء إلى الوجود كتب الخراج والاموال، مثل خراج يحيى بن آدم القرشي، وخراج ابي يوسف، والاموال لابي عبيد القاسم ابن سلام، والصيغة العامة التي اتسمت هذه الكتب بها هي سمة مصنفات الحديث، ورواية الآثار، وارتبطت بالمواضيع الجبائية للدولة، ولهذا نجد الحاجة كانت قائمة للتصنيف في ميادين الاقتصاد العامة ذات المساس بحياة الناس بشكل عام، وأمام هذه الحاجة سأل بعض الناس محمد بن الحسن الشيباني في اواخر حياته تصنيف رسالة في ميدان الاقتصاد العام، فلبى الرغبه وأملى رسالة في «الكسب» عرفت فيما بعد باسم «كتاب الكسب» وجاءت هذه الرسالة كأول محاولة في هذا الميدان باللغة العربية.

ومحمد بن الحسن الشيباني هو ابو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، ولاءاً، كان اصل والده من منطقة الجزيرة حيث كانت ديار شيبان، لكنه لم يعش في الجزيرة، بل في بلدة حرستا في احوار مدينة دمشق، ذلك انه كان من الجند الشامي، وفي اواخر العصر الاموي انتقل إلى مدينة واسط عاصمة العراق الاموي الاخيرة، وفي واسط ولد له ولده محمد سنة اثنتين وثلاثين ومائة [٧٥٠م].

ويبدو ان والد محمدبن الحسن كان ثرياً، وقد ترك سكنى مدينة واسط، واستقر في مدينة الكوفة، ويبدو أن ذلك كان إثر سقوط الخلافة الاموية وقيام الخلافة العباسية، وفي كوفة النصف الثاني للقرن الثاني للهجرة، كوفة ابي حنيفة النعمان بن ثابت، وكبار العلماء والفقهاء ورجال الادب واللغة والحديث نشأ محمد بن الحسن الشيباني، فلقي كبار رجال الفكر فأخذ عنهم، ويروى انه عندما بلغت سنه اربع عشرة سنة حضر مجلس ابي حنيفة، ليسأله عن مسألة نزلت به، فسأله قائلاً: ما تقول في غلام احتلم بالليل بعدما صلى العشاء، هل يعيد العشاء؟ قال: نعم، فقال واخذ نعله، واعاد العشاء في زاوية المسجد وكان هذا اول شيء تعلمه من ابي حنيفة، ويروى بأن الامام عندما رآه يعيد الصلاة اعجبه ذلك، وقال: «إن هذا الصبي يفلح إن شاء الله تعالى»



وكان الامر كما قال....

حيث «ألقى الله تعالى في قلبه حسب التفقه في دين الاسلام» ودخل في روعه جلال مجلس الفقه، فعاد إلى حلقة ابي حنيفة يريد التفقه والتعلم، فقال له ابو حنيفة: «استظهر القرآن اولاً» لأن المتفقه في الشريعة الاسلامية في حاجة ماسة للقرآن والاحتجاج بآياته لان القرآن المنزلة الاولى في العقيدة الاسلامية.

وغاب محمد بن الحسن عدة ايام عاد بعدها إلى مجلس الامام ابي حنيفة وقد استظهر القرآن، وابتدأ حظه بتوجيه سؤال جديد إلى الامام، فقال له الامام: أخذت هذه المسألة من غيرك أم انشأتها من نفسك؟ فقال محمد بن الحسن: بل من عندي فقال له ابو حنيفة: سألت سؤال الرجال، أدِم الاختلاف إلينا وإلى الحلقة.

ومن ذلك الحين بدأ محمد بن الحسن حياته العلمية، وأقبل بكليته على فقه ابي حنيفة، ووقف جل وقته على ملازمة حلقته يكتب المسائل وأجوبتها، واستمر في حاله هذا أربع سنوات حتى توفي الامام ابي حنيفة، وبعد ذلك تابع نيله لفقه ابي حنيفة على تلميذه وخليفته من بعده القاضي ابي يوسف.

وكان اثناء هذا كله يختلف إلى حلقات المحدثين وسواهم في الكوفة، ويأخذ عنهم.

وعندما شعر بأنه استنفذ تحصيل معارف أهل الكوفة، قرر الرحلة في طلب العلم، وكانت شهرة إمام اهل المدينة مالك بن انس قد طارت ومعها شهرة كتابه الموطأ، لذلك اتجه نحو شبه الجزيرة، وفي المدينة تعرف إلى الامام مالك واخذ عنه، وسمع منه الموطأ ودونه من سماعه، وتعتبر رواية محمد بن الحسن للموطأ من افضل الروايات له قدماً وصحة وضبطاً، وحين دون محمد بن الحسن الموطأ دونه بتروٍّ في مدة ثلاث سنوات، وذكر بعد كل حديث او فقرة فقهية ما إذا كان ذلك يتفق مع فقه ابي حنيفة ام يختلف [وقد اتيح لي تفحص هذا العمل الجليل في نسخة خطية شبه كاملة من هذا الموطأ هي في حوزتي حيث يمكن وصف عمل محمد بن الحسن فيها بأنه محاولة رائدة في باب الخلاف الفقهي العالي].

ومفيد ان نشير هنا انه اثناء اخذ محمدبن الحسن على الإمام مالك جاء محمد بن ادريس الشافعي للأخذ على الامام مالك، وبذلك حدث التعارف الاول بين الشيباني والشافعي.

وحج الشيباني إلى مكة، وهناك لزم كبار العلماء، وأخذ عنهم مثل سفيان بن عينية وسواه، كما انه رحل إلى الشام فأخذ عن الامام الأوزاعي، وزار البصرة وخراسان آخذاً عن كبار العلماء.

وبعدما استكمل رحلاته عاد إلى عراق الخلافة العباسية فاستقر في بغداد، وطارت شهرته، واختلف التلاميذ إليه ينهلون من علمه، وقام الخليفة الرشيد بتوليته القضاء، واثناء ولايته لهذا المنصب لقيه الامام الشافعي ثانية، حيث حدث ان الشافعي حمل من نجران إلى

الرشيد مكبلاً بالحديد متهماً بالتآمر السياسي، وجرت محاكمة بحضرة الخليفة وحضور القاضي محمد بن الحسن الشيباني مما سهل امر إطلاق سراحه، وانقاذه من ظلام الوظيفة، واعادته إلى نور العلم، حيث ان الشافعي قام بالتزام الشيباني لمدة عامين تقريباً اخذ عنه فيهما فقه اهل العراق.

يبدو ان الامام محمد بن الحسن لم يمكث في القضاء طويلاً حيث تخلى عنه واعتزل العمل الاداري، ووقف نفسه على الفقه تعليماً وتصنيفاً، ويعلمه هذا بنى عملياً مذهب ابي حنيفة، ذك ان التراث الفكري المدون بفقه اهل العراق جله من انتاج الامام الشيباني الذي يمكن اعتباره لهذا الباني الفعلي للمذهب الحنفي.

لقد جاء طلاب العلم إلى الامام الشيباني من مشارق العالم الاسلامي ومغاربه وكان أبرز من اخذ عليه من اهل الغرب الاسلامي اسد بن الفرات، فاتح صقلية، وصاحب المدونة الاولى في تاريخ الفقه المالكي حيث ان مدونته هي اصل مدونة الامام سحنون الشهيرة.

لقد تحدث اسد بن الفرات عن اتصاله بالامام مالك ثم سفره إلى العراق حيث لزم محمد بن الحسن الشيباني، وذكر انه قال له في احدى المناسبات: إني غريب قليل النفقة، والسماع منك نزر والطلب عندك كثير فما حيلتي؟ فقال لي: «اسمع مع العراقيين بالنهار وقد جعلت لك الليل وحدك فتأتي فتبيت عندي واسمعك» قال اسد: فكنت ابيت عنده، وكنت [معه] في بيت في سقيفه، وكان يسكن العلو، فكان ينزل إلي، ويجعل بين يديه قدحاً فيه الماء، ثم يأخذ في القراءة، فإذا طال عليه الليل ورآني قد نعست، ملأ يديه ونضح به في وجهي، فأنتبه، وكان ذلك دأبي ودأبه حتى اتيت على ما اريد من السماع عليه.

في هذا الحديث صورة رائعة تعبر عن مدى حرص الامام محمد ابن الحسن الشيباني على مساعدة طلاب العلم خاصة الغرباء منهم، وتكتمل بعض جوانب هذه الصورة وتزداد روعة فيما ذكره ايضاً اسد بن الفرات بقوله: وكنت يوماً جالساً في حلقة محمد بن الحسن، حتى صاح صائح: الماء للسبيل، فقمت مبادراً فشربت من الماء، ثم رجعت إلى الحلقة، فقال لي محمد بن الحسن: يا مغربي شربت ماء السبيل؟ فقلت: اصلحك الله، وانا ابن سبيل! قال: ثم انصرفت، فلما كان الليل إذا بإنسان يدق الباب فخرجت إليه، فإذا خادم محمد بن الحسن فقال: مولاي يقرأ عليك السلام، ويقول لك: ما علمت انك ابن سبيل إلا في يومي، فخذ هذه النفقه فاستعن بها على حاجتك، ثم دفع إلي صرة ثقيلة، فقلت في نفسي هذه كلها دراهم، ففرحت بها، فلما دخلت منزلي فتحتها فإذا فيها ثمانون ديناراً[1].

لا يعلم بين سير الائمة إلا ندرة صبروا صبر محمد بن الحسن في تعليم تلاميذه: وآثرهم في الانفاق والوقت، ولا عجب فالشيباني كان إماماً عاملاً آمن بالإسلام عن فهم وعقل، واتخذ سيرة النبي المصطفى مثله الأعلى.

لقد زق محمد بن الحسن اسد بن الفرات بالعلم زقاً، وكان الإمام مالك قد توفي وفي طريق عودته إلى القيروان حمل ابن الفرات معه زاداً عظيماً دونه في كتاب عرف باسم المدونة الاسدية، وهي كما اشرت اصل مدونة سحنون، وعليها قام فقه المالكية، وهكذا نرى الاثر العظيم لمحمد بن الحسن اسلامياً شاملاً، فهو الباني الفعلي للمذهب الحنفي، وهو من جهة ثانية استاذ الامام الشافعي، ومن طرف ثالث استاذ اسد بن الفرات، ولا عجب ان قال عنه الامام الشافعي: «لو اشاء ان اقول نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقلت، لفصاحته، وقد حملت عنه وقر بختي كتباً» كما قال: «ما رأيت احداً يسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت الكراهة في وجهه إلا محمد بن الحسن»[2].

وكما سلفت الاشارة عمل الامام محمد ابن الحسن في القضاء فترة وجيزة، وكان له علاقات بالخليفة الرشيد، إنما يلاحظ ان هذه العلاقات ظلت متوازنة حافظ فيها على رونق العلم، وجلالة العلماء وقد ذكر احد معاصريه قال: «كنا مع محمد بن الحسن إذ اقبل الرشيد فقام إليه الناس كلهم إلا محمد بن الحسن، فإنه لم يقم، وكان الحسن بن زياد ثقيل القلب، ممتلىء البطن على محمد بن الحسن، فقام

ودخل الناس من اصحاب الخليفة، فأمهل الرشيد يسيراً، ثم خرج الآذن، فقال: محمد بن الحسن، فجزع اصحابه له، فأدخل فأمهل، ثم خرج طيب النفس مسروراً، فقال: قال لي: مالك لم تقم مع الناس؟ قلت: كرهت ان اخرج عن الطبقة التي جعلتني فيها، إنك اهلتني للعلم، فكرهت ان اخرج منه إلى طبقة الخدمة التي هي خارجة منه، وإن ابن عمك (صلعم) قال: «من احب ان يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوّأ مقعده من النار» وانه إنما اراد بذلك العلماء، فمن قام بحق الخدمة واعزاز الملك، فهو هيبة للعدو، ومن قعد اتبع السنة التي عنكم اخذت، فهو زين لكم، قال: صدقت يا محمد».

كان محمد بن الحسن قوي الذاكرة، شديد الوعي، سريع البديهة، اتقن صناعة القياس واستخدم الرأي بشكل بارع للغاية، وإنما في حدود الشريعة وفي نطاق معطياتها، قيل بأنه لما اتصل بالامام مالك سأله «ما تقول في جنب لا يجد الماء إلا في المسجد؟ فقال مالك: لا يدخل الجنب المسجد، قال فكيف يصنع وقد حضرت الصلاة، وهو يرى الماء؟ قال: فجعل مالك يكرر: لا يدخل الجنب المسجد، فلما اكثر عليه: قال له مالك: ما تقول انت في هذا؟ قال: يتيمم ويدخل فيأخذ الماء من المسجد، ويخرج فيغتسل. قال: من اين انت؟ قال: من اهل هذه - واشار إلى الارض - فقال: ما من اهل المدينة احد لا اعرفه، فقال: ما اكثر من لا تعرف، ثم نهض، قالوا لمالك: هذا محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة، فقال مالك: محمد بن الحسن كيف يكذب، وقد ذكر انه من اهل المدينة؟ فقالوا: إنما قال: من اهل هذه، واشار إلى الارض، قال: هذا اشد علي من ذاك»[٣].

توفي محمد بن الحسن سنة تسع وثمانين ومائة [٨٠٤م] في مدينة الري - قرب طهران الحالية - وقد كان خصب الانتاج، وهو بسبب ذلك اعتبر فقيه مدرسة العراق الاعظم مكانة، ومدون تراث هذه المدرسة، وقد كتب محمد بن الحسن عدداً كبيراً من الكتب وقفها على مواضيع فقهية عامة متعددة، كما كتب بعض الرسائل وقف كلاً منها لموضوع فقهي خاص.

وكان آخر ما كتبه قبيل وفاته كتاب الكسب.

روى هذا الكتاب عن محمد بن الحسن تلميذه محمد بن سماعة التميمي، كما شرحه فيما بعد الامام السرخسي كما شرح غيره من كتب الشيباني، لكن جاء شرحه منفصلاً ولم يدخله في مجموعة المبسوط العملاقة.

لقد جاء هذا الكتاب بالاصل صغير الحجم، املاه صاحبه على طريقة الآثار، وكان من دوافعه إلى تصنيفه، وذلك بالاضافة إلى تلبية الحاجة، الرد على حركة الزهد الاعجمي التي نشطت في القرن الثاني للهجرة مع نشاط الديانة المانية [حركة الزندقة] والحركة الشعوبية، كما حوى بعض الردود على جماعة القدرية وسواهم، وفي مسار الردود هذه استعرض الشيباني مشكلة الكسب وموقف الشريعة منها، مبيناً اوجه الحلال والحرام مع طرائق وقوانين الكسب، مستشهداً خلال ذلك كله بالعديد من الايات والاحاديث والاثار المروية.

ولعل من الافضل قبل الاستطراد في الحديث عن محتويات هذا الكتاب بشكل مفصل ان نبين، ان كتاب الشيباني هذا عظيم القيمة، لانه يحوي خلاصة فكر باني المذهب الحنفي، ومواقفه خاصة تجاه مشكلة الحرية في التصرف الاقتصادي وحق السلطة في التدخل والتسعير، ثم كما قلت سابقاً هذا الكتاب المبكر التاريخ هو المحاولة الاولى في العربية في بابه.

ولهذا اهتم الباحثون في هذا العصر الحديث به، ولسوء الحظ لم يتمكن احد منهم من الوقوف على نسخة خطية كاملة صحيحة منه، حيث كان ما عثر عليه في مصر، هو نسخة خطية واحدة، اصابها تغيير وتحريف وبتر شديد، وجدت في دار الكتب المصرية في القاهرة، وجاءت في نحو خمس واربعين ورقة، وقد وضع لها عنوان هو «كتاب الاكتساب في الرزق المستطاب» ويبدو ان هذه النسخة لم تعد موجودة في دار الكتب، إنما لحسن الحظ كانت قد نشرت في القاهرة عام ١٩٣٨، وقد اخرج الكتاب بشكل لا يليق ابداً مع محتوياته، وقيل عنه آنذاك هو مختصر كتاب الكسب.

وفي عام ١٩٦٧ عثرت اثناء عملي في مكتبة

احمد الثالث باستنبول على مخطوطة كاملة لكتاب الكسب بشرح السرخسي، جاءت في ثلاث وخمسين ورقة، وقد نسخت بخط فارسي جميل، إنما لا يخلو من الاخطاء والتصحيفات، وهذه النسخة يبدو انها قريبة العهد، رغم ان ناسخها لم يذكر تاريخ نسخها ولا مكانه.

ومنذ ذلك الحين اهتممت بهذا الكتاب، ونويت العمل على نشره، وبالفعل أعددته للتحقيق، وحدث أن تأخر عملي حتى هذا التاريخ لأسباب كثيرة كان على رأسها مسألة الاحاديث النبوية التي حواها الكتاب، ذلك ان ندرة من هذه الاحاديث جاء في واحد من كتب السنة المعروفة، وعلة هذا لا لضعف او شذوذ في رواية محمد بن الحسن وإنما لكون ابن الحسن كان يملي من حفظه، وقد اتى من هذه الجهة(٤).

لقد بحثت منذ ذلك الوقت عن مصادر إضافية لتخريج احاديث محمد بن الحسن وعددها /٢٠٥/ حديث وقد اتيح لي الوقوف على عدد وافر من كتب الاحاديث والمجامع، وهكذا تمكنت من تخريج هذه الآثار، وتحقق املي في اخراج هذا الاثر النفيس للقراء والباحثين.

وبعد هذا كله أعود ثانية لمحتويات الكتاب للحديث عنها ووصفها: لقد صنف هذا الكتاب في مرحلة مبكرة للغاية في تاريخ الادب العربي، لهذا تميز بعدة مزايا، فهو قد جاء عرض موضوعاته كتلة واحدة، ثم إن المصنف لم يقم بتقسيم الكتاب إلى عدة اقسام يتناول في كل منها واحداً من المواضيع، بل نراه يقوم بتناول الموضوع الواحد في اكثر من مكان، وعدة مرات بشكل موجز او واسع.

في مطلع الكتاب تعرض المصنف إلى تعريف «الكسب» فقال الاكتساب «تحصيل المال بما يحل من الاسباب» وهنا تحدث بشكل عام عن جوانب الاكتساب وضرورة القيام به، كما بين انواع المكتسبات بشكل عام، ودعم ما ذهب إليه بعدد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية، مبيناً ان لفظ «الاكتساب» بشكل عام يتناول المال، ولكن الانسان قد يكتسب اشياء كثيرة غير المال منها ما يفيد بها نفسه، ومنها ما يضرها به.

إن العصر الذي عاش به محمد بن الحسن الشيباني قد تميز بالصراعات بين عدة تيارات دينية وفكرية، قد شهد هذا العصر محاولات الديانات التي كانت موجودة قبل الاسلام للعودة إلى النشاط بشكل صريح ومباشر او شكل غير مباشر، وكان من اهم هذه الديانات «الديانة المانية» التي جاء بها ماني في القرن الثالث للميلاد، والتي مزج فيها بين تعاليم الزرادشتية والمسيحية والغنوصية واليهودية وسواها، وعرف نشاط هذه الديانة عند المسلمين باسم حركة الزندقة، وحاربت الزندقة ضد الاسلام بشكل مباشر، او عن طريق الشعوبية، او بواسطة ايجاد حركة زهد منانية المحتوى، اسلامية المظهر، سلبية السلوك، تريد انهاء الحياة بإلغاء العمل والكسب، وبالأخذ بعدم الحركة والخمول إلى غير ذلك....

وقد تجرد عدد كبير من علماء العرب للرد على «المنانية» والتصدي لما قدمته بشكل مباشر او غير مباشر من افكار، ويمكن ان ننظر إلى كتاب الكسب ومشكلة المحرض على تصنيفه من هذه الزاوية.

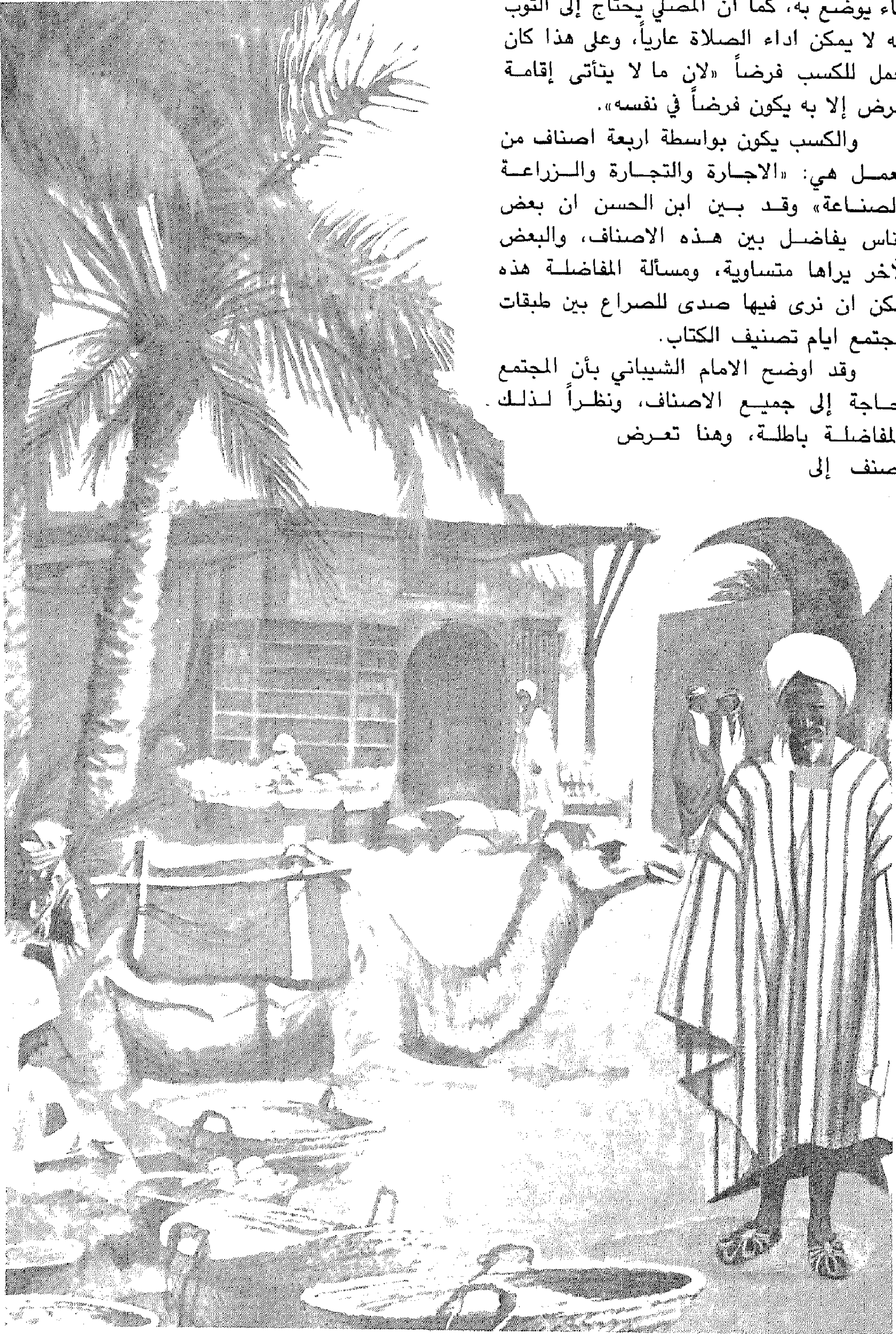
روى المصنف في مطلع الكتاب ان النبي (صلعم) قال: «طلب الكسب فريضة على كل مسلم كما ان طلب العلم فريضة» وبين بشكل فيه نظرة اجتماعية واسعة قائمة على المزج بين المفاهيم الدينية والدنيوية فقال: «طلب الكسب يمكن من اداء الفرائض بقوة البدن، لان الكسب يجلب القوت». ولتحصيل القوت طرق هي: «الاكتساب، او التغالب او الانتهاب» وبالانتهاب يستوجب الانسان العقاب، وفي التغالب فساد، وعلى هذا «في الكسب نظام العالم» «وفي تركه تخريب نظامه».

ويتم الاكتساب بالكد والتعب، وهنا تأتي منافع الكسب عامة وضرورية، فالزارع يكتسب لنفسه، ولكنه يفيد بانتاجه الجماعة، والصانع يفعل نفس الشيء، ولا يمكن إداء العبادات بدون كسب، فالصلاة مثلاً تقتضي الوضوء، والمتوضيء يحتاج إلى الماء، والماء لا بد له من

وعاء يوضع به، كما ان المصلي يحتاج إلى الثوب لانه لا يمكن اداء الصلاة عارياً، وعلى هذا كان العمل للكسب فرضاً «لان ما لا يتأتى إقامة الفرض إلا به يكون فرضاً في نفسه».

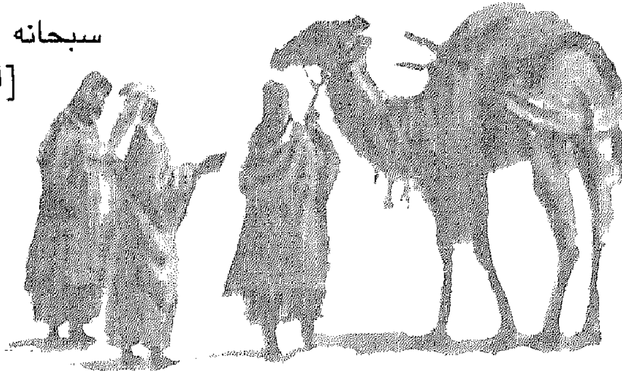
والكسب يكون بواسطة اربعة اصناف من العمل هي: «الاجارة والتجارة والزراعة والصناعة» وقد بين ابن الحسن ان بعض الناس يفاضل بين هذه الاصناف، والبعض الآخر يراها متساوية، ومسألة المفاضلة هذه يمكن ان نرى فيها صدى للصراع بين طبقات المجتمع ايام تصنيف الكتاب.

وقد اوضح الامام الشيباني بأن المجتمع بحاجة إلى جميع الاصناف، ونظراً لذلك فالمفاضلة باطلة، وهنا تعرض المصنف إلى



مسألة خطيرة، وخاصة على صعيد الحرية المطلقة في المذهب الحنفي.

فأبو حنيفة مؤسس هذا المذهب كان بالاصل تاجراً، ولهذا آمن بالحرية التجارية، وبعدم جواز تدخل الدولة في اي جانب من جوانب العمل التجاري، وخاصة قضية التسعير حيث ان المسعر هو الله.



بعدما بين الامام الشيباني ان الكسب مباح، لا بل هو فرض، طرح سؤالاً محتواه: إلى اي حد على الانسان ان يعمل ليكسب؟ فقال: إن البعض يرى ان الكسب مباح بلا حدود، وقام هو برفض هذا الرأي، وبين ان رأي جمهور الفقهاء ان الكسب ينبغي ان يكون فقط في حدود الحاجة والمنفعة الخاصة العامة، واوضح ان في انصراف الانسان في جميع اوقاته للكسب خروج على اوامر الله وما تحتاجه الحياة من توازن وتوزيع للجهود والوقت، فالانسان مندوب للعبادة مفروض عليه التفرغ للعلم، والاقبال على العلم فيه عظيم المنافع للناس جميعاً.

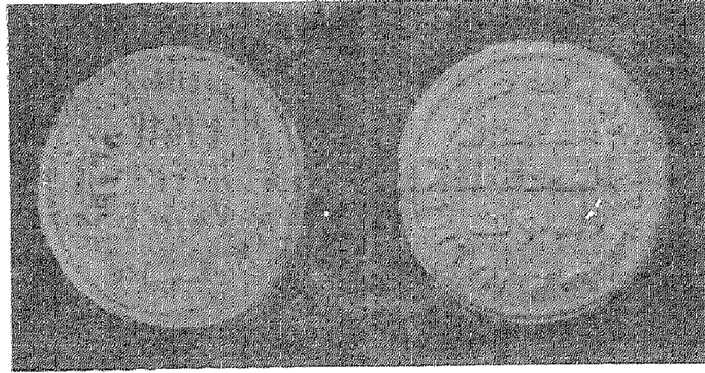
وفقط «الكسب بقدر ما لا بد منه فريضة» وما تجاوز الحاجة يغدو جناية، وما لا بد منه هو تأمين الكفاية للنفس والعيال والاهل، بما يقيم الاود ويسد الحاجة، ويزيل الدين، وفي هذا المقصد روى المصنف عن ابي ذر الغفاري قوله: «افضل الاعمال بعد الايمان الصلاة واكل الخبز، ولولا الخبز ما عبد الله تعالى».

إن الانصراف المطلق إلى الكسب، اي تحصيل المال وجمعه، فيه اخلال بنظام الحياة، وذلك ان ثروات الدنيا تكفي فقط الناس جميعاً، فاحتكار البعض زيادة عن الآخرين فيه اخلال بالتوازن، لا يجوز الرضى به والسكون عنه، وبعد هذا استطرد الامام الشيباني ليوازن بين الفقر والغنى، فبين ان اكثر الناس يفضل الغنى والاغنياء، وهنا اوضح ان هذاانحراف، ذلك ان في الغنى طغيان، واستشهد بقوله تعالى «كلا إن الانسان ليطغى» [العلق: ٦] وقوله سبحانه «الذين طغوا في البلاد» [الفجر: ١١] وقال: إن القناعة خير من الفقر والغنى «ولو ان الناس قنعوا بما يكفيهم وعمدوا إلى الفضول فوجهوها لأمر آخرتهم كان خيراً لهم» ذلك ان «ما زاد على ما لا بد منه يحاسب المرء عليه» وفي جميع الاحوال في الكسب لتحصيل الغنى استرسال في اتباع الشهوات، وصحيح انه «زين للناس حب الشهوات» [آل عمران: ١٤] ولكن الذين «اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً» [مريم: ٥٩].

إن في هذا التفكير ليس عدول منهجي عظيم في فقه المذهب الحنفي وإنما ريادة مبكرة في التشريع الاجتماعي بعرض نظرة اسلامية اصيلة، قدم المصنف بعض جوانبها الاخرى، حين تحدث عن ان المجتمع لا بد من ان يوجد فيه من يحتاج إلى طعام وكساء وغير ذلك، نظراً لعجزه لاقعاد السن له، او لمرض معوق، وهنا قال كما يفترض على الامة فداء من يقع من افرادها في اسر الاعداء عليها «اطعام المحتاج في الوقت الذي يعجز عن الخروج والطلب» واوضح ابن الحسن في هذا المجال انه «لا يجوز للقادر السؤال ولا الأخذ» بل عليه الكسب.

وبعدما عرض لمسائل الكسب، تعرض الامام الشيباني لقضايا الانفاق، فالله تعالى بعدما حض على الكسب، امر عباده بالانفاق بقوله: «انفقوا من طيبات ما كسبتم» [البقرة: ٢٦٧] وهنا على الانسان عدم الاسراف في الطعام والاستكثار من المباحات والالوان، فمن «الاسراف ان يضع المرء على المائدة من الوان الطعام فوق ما يحتاج إليه للأكل.... ومن الاسراف ان يأكل وسط الخبز ويدع حواشيه، او يأكل ما انتفخ من الخبز.... ومن الاسراف التمسح بالخبز عند الفراغ من الطعام».

وكما يتصرف المرء تجاه الطعام عليه ان يفعل في الملبس والمسكن وغير ذلك ما يرتبط بالحياة، فالنبي (صلعم) قد «نهى ان يلبس



دينار ذهبي
ضرب سنة ١٠٥هـ.

نهاية ما يكون من الحسن والجودة في الثياب على وجه يشار إليه بالاصابع» بل اوصى بلبس الثوب الجيد وترك السيء لان الاصل في الثياب ستر العورة ودفع اذى الحر والبرد، وكان (صلعم) يهتم في عامة اوقاته بالنظافة والانسجام، ويرتدي في المناسبات من أعياد ومواسم بعض الثياب الرائعة.

واثناء عرض المؤلف لمشكلة الطعام واللباس يمكن استخلاص بعض الصور الحضارية عن حال المسلمين في القرن الثاني للهجرة والتعرف إلى انماط من مشاكلهم آنذاك، فهم مثلاً كانوا يتجادلون حول بناء المساجد وزخرفتها والتأنق في المآذن مع مشاكل التجصيص للبيوت والمساجد ومشاكل استخدام الاثاث وانواعه إلى غير ذلك مما هو ثمين للغاية للمؤرخ الحضاري.

كما سلفت الاشارة إن جميع ما عرضه الامام ابن الحسن جاء من احد الجوانب رداً على اصحاب تيار الزهد الاعجمي، ولكنه لم يكتف بهذا بل قام بالرد المباشر وذلك بعد عرض لأقوالهم وافكارهم بقوله: «وقال قوم من جهال اهل التقشف وحماقى اهل التصوف ان الكسب حرام لا يحل إلا عند الضرورة بمنزلة تناول الميتة....».

ولقد جاءت ردوده مباشرة مفحمة اعتمد فيها النقل والعقل حيث قدم عدداً من الآيات والاحاديث النبوية التي تأمر بالكسب وتحض عليه، ثم ذكر بأن الكسب هو طريق المرسلين، ونحن قد امرنا بالاقتداء بهم، فآدم كان مزارعاً، ونوح كان نجاراً، وإبراهيم كان بزازاً، وداود عمل في صناعة الدروع، وزكريا كان نجاراً، وعيسى كان يأكل من اجر غزل امه، والنبي محمد عمل في التجارة وغير ذلك مثل رعاية الاغنام، ثم إن الصحابة جميعاً كانوا يكسبون، فأبو بكر كان بزازاً، وكان عمر يعمل بالادم (الجلد) وعثمان كان تاجراً، وقد اجر علي نفسه اكثر من مرة ليكسب قوت يومه.

والانسان على الرغم في الاقرار بأن الله قد قدر رزقه، ولا راد لقدر الله، يفترض عليه الكسب، فالمؤمن مطلوب منه الدعاء مع القدر، والنبي كان يدعو الله لنفسه ولأصحابه بالمغفرة والجنة رغم معرفته بأنه سيدخل الجنة، ومعلوم اننا مطلوب منا إستعمال الدواء اثناء المرض، رغم ان الشافي هو الله جلت قدرته.

وبعد هذا التفت إلى اهل الزهد الاعجمي وخاطبهم بهزء وازدراء ونعى عليهم قبولهم طعام من اطعمهم من اهل الكسب، كل هذا رغم ان الكاسب قد اقترف الحرام بكسبه.... المسألة ليست كذلك، إنها كسل وذل، وسعي ليدخل إلى الاسلام ما ليس منه.

الهوامش

(١) رياض النفوس للمالكي - ط. القاهرة: /١٧٢ - ١٧٦.
(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢/١٧٥، فوات الوفيات لابن أبيك ٢/٢٣٣.
(٣) تاريخ بغداد ١٧٤ - ١٧٥.
(٤) انظر تاريخ بغداد ٢/١٧٩ - ١٨٣. الوافي بالوفيات ٢/٢٣٣. بلوغ الاماني في سيرة الامام محمد بن الحسن الشيباني للامام محمد زاهد الكوثري - ط. حمص ١٩٦٩، ٢٣ - ٤٤.



العناية بالطفل والمرضعات في الطب العربي

د. سامي حمارنه

لم يغفل الاطباء العرب في العصور الوسطى توجيه العناية الفائقة بالاطفال والامهات لحفظ صحتهم وتدبيرهم في حالة المرض. ولكن مع الاسف لا نعرف إلا القليل عن ذلك بسبب اهمال هذا الموضوع في كتب تاريخ الطب والعلاج في الشرق والغرب. فلأجل ملء هذه الثغرة في ادبنا العلمي الطبي رأينا ان نخصص هذه المقالة كمقدمة اولية عن طب الاطفال للفت الانظار إلى هذا الموضوع الهام. واعطائه حقه من التقدير ولو بعبارات وجيزة وعرض سريع للحقائق التاريخية لمساهمة العرب إلى حد كبير في تطوير هذا الفرع من العلوم الصحية.

قيام الطب العربي

اعتمد الطب العربي في بدايته على ما اقتبسه من علوم الحضارات السابقة في الصناعة وفي مقدمتها حضارة الاغريق وما نقله من كتب الهنود والسريان والاقباط والفرس وغيرهم.

ولا يسعنا إلا ان نؤكد بان الحضارة الاغريقية هي التي - في الدرجة الاولى - تركت طابعها الخاص على البحث العلمي العربي النظري والتجريبي واثرت على صياغته واتجاهاته وبمعالمه القريبة والبعيدة المدى، ولكن سرعان ما نشأ من امتزاج كل هذه الثقافات حضارة عربية جديدة لها طابعها المنفرد واسلوبها المعروف. لقد قام العرب والسريان بترجمة العديد من الكتب الاغريقية وكان اختيارهم للكتب التي ترجمت للعربية يدل على الحكمة والمرونة والعقل السديد إذ نقلوا افضل مما كان باقياً من تراث اليونان واكثره نفعاً وما هي إلا ردحة من الزمن حتى توفرت لطلبة الطب والصيدلة في العاصمة العباسية وسواها من المدن العربية والاسلامية الافضل والاعم نفعاً من كل ما كتبه وخلفه علماء الاغريق وسواهم فقد نُقل العديد من كتب ابقراط ابي الطب وارسطو المعلم الاول وديقوريدس، عالم النباتات الطبية والحشائش في القرن الاول المسيحي ومعاصر بولس الرسول وجالينوس في القرن الثاني والذي تركزت في كتاباته خلاصة هامة من آثار الاغريق في الطب والفلسفة كما وقد ترجمت بعض كتب من جاءوا بعدهم نظير اوريباسيوس وبولس الاجانيطي في اليونانية واهرت القس بالسريانية اما جمهرة الاساتذة المترجمين فتشمل اسماء لامعة في الحضارة العربية اغلبهم من المسيحيين العرب الذين نقلوا حضارة القدماء النفيسة إلى لغة الضاد امثال يوحنا بن البطريق، والترجمان الطبيب حنين بن اسحق العبادي من قبيلة العباد بعاصمة اللخميين وابنه اسحق وابن اخته حنين ابن الاعسم الدمشقي وابن باسيل وابن ناعمة وسلام الابرش وايوب العمادي وقسطا بن لوقا البعلبكي وغيرهم.

واننا لنجد ذكراً حسناً لهؤلاء العلماء في كتب السير والتراجم امثال كتاب الفهرست لابن النديم وطبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل في القرن العاشر وتاريخ الحكماء لابن القفطي في القرن الثاني عشر واخيراً اعظم هذه الكتب بالنسبة لتاريخ العلوم الطبية كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي الخزرجي العربي السوري المتوفي عام ١٢٧٠ ميلادية.

اول من كتب في طب الاطفال

اشتهر زمن الخليفة الرشيد الطبيب عيسى بن حكم الدمشقي الذي عالج الحبالى والمرضعات والاطفال، وكانت له نظريات شيقة في الغذاء والدواء. وقد تطرق للموضوع ابو زيد حنين العبادي زمن الخليفة (المتوكل) في كتابه المشهور بالمسائل في الطب للمتعلمين لانه وُضع على سبيل المسألة والجواب، وقد كان دستوراً للاطباء المبتدئين والممارسين يتخذونه دليلاً لهم، وله ايضاً مقالات في تدبير الناقهين وحديث في المولودين لثمانية اشهر.

وعالج الموضوع بشيء من التعمق والاسهاب ابو الحسن الطبري في كتابه فردوس الحكمة والذي اتمه زمن الخليفة المتوكل عام ٨٥٠م ويعتبر اول مرجع من نوعه في شموله وسعة المواضيع التي يطرقها الَّفه باللغتين العربية والسريانية، وفي هذا الصدد يبحث في تكوين الجنين وشبهه للوالدين كما «يشبه الدواب والطير اباها في الوانها وصورها واصواتها وسائر افاعيلها.. وانا لنجد هذا في كل مزروع ومولود».

بعدها يتكلم في تطور الجنين في الرحم وطريقة تغذيته من الام باسلوب علمي ثم ظهور اعضائه ونموها واستكمالها في الرحم إلى زمن الولادة. وقد ايده في هذا البحث ما ذكره الطبيب والجراح الشهير ابو الفرج ابن القف المتوفي عام ١٢٨٦م. وتكلم الطبري عن سبل تسهيل الولادة والعناية بالطفل وحفظ صحته بأفضل السبل وفيه يوصي باستعمال لبن الام الذي هو افضل الالبان لوليدها

ويشير إلى ان الطفل لا يكثر البكاء إلا لوجع يجب معالجته «وتتوقى عليه من شدة الرباط - الاقمطية - (noise pollution) ومن زيادة الحر والبرد والاصوات المزعجة والمناظر المرعبة ويحذر من كثرة الارضاع «فالامتلاء يورث الكسل» فيفقد حيويته ونشاطه ودعابته، ويوصي متى بلغ المولود وقت الفطام باعطائه المفيد المناسب من الاغذية مع عدم اهمال النظافة الجسمية ويضيف « و تنبت الاسنان في الشهر السابع او بعده وكلما كان نباتها ابطأ كان اقوى لها واشد وجعاً». ويوصي بالدعة وادخال السرور للنفس فإذا شب يدرب على الهدوء بدل الخوف والارهاق الذي ينهك بدنه، وبعد بلوغ الثانية عشر من العمر وقد تعلم القراءة والخط والنحو يبدأ بعدها بتعلم الحساب والهندسة وعلم النجوم ثم دراسة الفلسفة والعلوم الصحية. ويختصر الطبري امر حفظ الصحة بكلمتينمفادهما ادخال ما يوافق البدن واخراج ما يتولد فيه من الاتفال اما عن الاكل فيوصي بالاقلال منه والاحتراس من التخمة.



منمنمة «الولادة» من مخطوطة مقامات الحرير (دار الكتب القومية باريس).

القرن العاشر - الرابع الهجري

كان هذا هو العصر الذهبي في الحضارة العربية العلمية والثقافية، وبلغت فيه العلوم الصحية أعلى مراتب التقدم وزاد فيه على اية حضارة سبقت او لحقت حتى عهد البعث الاوروبي.. فكان يتوفر للطبيب او الصيدلي مهما كان منشئة وضيعاً كل وسائل التعليم والدرس إلى اعلى الدرجات في المدارس والكليات ودور الشفاء والمكاتب وما يلزمه من التمرين نظرياً وعلمياً وازدادت فيه المستشفيات التي بلغت درجة الرقي الموصوف ودكاكين الصيادلة العارفين بالعقاقير واصنافها وطرق جمعها وحفظها وتركيبها، ومن ألمع الشخصيات الطبية في هذا القرن هو الطبيب السرائري والفيلسوف الكيماوي ابو بكر محمد الرازي وقد تميز هذا الحكيم باصالته وقوة ملاحظته ودأبه على ادراك اسرار المهنة واتقان اصولها ورفع شأنها وحفظ قوانينها العلمية والادبية حتى اصبح نديم الامراء وطبيب الملوك والشرفاء وكان مثال الطبيب المدقق النزيه الذي اوقف حياته على نفع مرضاه ومراعاة صحتهم وافادة تلامذته وزملائه في الصناعة وقد خلفماينوف ماية كتاب طبي صيدلاني بعضها لا يزال في

مخطوطات تنتظر النشر والتحقيق فمنها كتابه «المنهوزي» في الطب الذي يخصص فيه قسماً لبحث الصحة العامة «لحفظ صحة الاصحاء موجودة »، وله كتاب الجدري والحصبة يصف فيه هذين المرضين بمنتهى الدقة ذاكراً الفارق بينهما والعلاج والاعراض وطرق الوقاية والعلاج باسلوب مشابه لما توصف به في العصر الحديث.

وظهر في القرن نفسه الطبيب المدقق علي بن العباس المجوسي الذي اشتهر كتابه الموسوعي كامل الصناعة الطبية ليس في الشرق فحسب بل في الغرب ايضاً بعد ان ترجم إلى اللغة اللاتينية. وقد خدم المجوسي الملك عضد الدولة البويهي الذي قال فيه «انه كان محباً للعلم والحكمة واهلهما »وفيه يصف تدبير الصحة حسب حالات الهواء وفصول السنة والرياضة «وهي افضل ما يستعمله الانسان في حفظ الصحة واعظمها نفعاً إذا كانت قبل الغذاء لانها تقوي الاعضاء وتصلبها وتحلل الفضول وتقوي الحرارة الغريزية وتعينها على جودة الهضم» ويشير إلى رياضة آلات التنفس ليجتذب بذلك

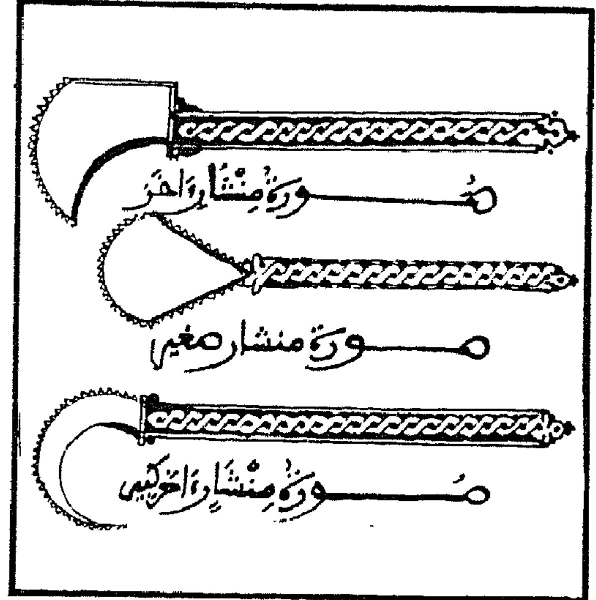


ولادة قيصرية:
من مخطوطة البيروني.

الهواء كثيراً إلى الرئة والصدر فيوسع الصدر ومنافذ الجسم. وفي حديثه عن الامراض النفسية يوصي بأن لا يكثر المرء من الهمز والغمز والحسد فانها تغير مزاج البدن وتنهكه الامر الذي يوافقه عليه علم النفس الحديث.

ويخصص المجوسي فصولاً كثيرة في تدبير الاطفال والظئر والصبيان الذين جاوزوا حد الرضاع ويوصي بالتحرز من الامراض الوبائية (Plagues) اما اوسع واروع ما كتب في هذا الموضوع في القرن العاشر فقد جاء في كتابين نشرا في المغرب العربي هما: كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن احمد ابراهيم الجزار القيراواني المتوفي حوالي ٩٨٤م وقد حققه ونشره الدكتور محمد الحبيب الهيله في الدار التونسية للنشر عام ١٩٦٨. قال ابن الجزار «هذا البحث اهمله المؤلفون ولم ار احداً من الاوائل له كتاب كامل جامع فيه بل معلومات متفرقة في شتى الكتب يصعب جمعها، فرايت ان اجمع المتفرق منها في كتاب واحد واضعاً ما حصلته في ٢٢ باباً».

ويتحدث ابن الجزار حول ضرورة العناية بالمرضعة ليصلح اللبن ويجود هضمه من طفلها وكيفية العناية به عند الولادة وبعدها من حيث المضجع ونظافة الابدان واوقات الرضاعة وطعام



ادوات جراحية قديمة.



الصفحة الاولى من كتاب ابن خبرلى الطبي

المرضعة ومناسبته ثم ظهور اسنان الطفل وتدبير اوجاعها إن حدثت ثم يستعرض اخلاق الصبي وطباعه وحسن تربيته وتفقده وتوجيهه في الكلام والجلوس والقيام والسلوك والنوم واليقظة والطعام والشراب على طريقة توازي ما نصادفه في يومنا هذا.

اما الثاني فهو كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين: لعريب بن سعيد الكاتب القرطبي وهو برأيي اجمل واوفى كتاب من نوعه في اية لغة حتى نهاية العصور الوسطى، وقد تم نشره وترجمته للفرنسية في كلية الطب والصيدلة بالجزائر عام ١٩٥٦.

اما المؤلف فقد عاصر الخليفة الاندلسي الحكم المستنصر وابنه هشام اللذين ازدهرت في ايامهما العلوم والمعارف وبلغت النهضة العلمية ذروتها والكتاب مهدى إلى الخليفة وفيه يذكر تدبير الاجنّة واسباب الولادة والجنس واحكام القبول وسياسة التربية وتدبير الحبالى وحفظ قواهن مداواة وما يعرض لهن من اول الحمل إلى وقت الوضع والقول في الاسقاط واسبابه وتلافي اعراضه والاحتراس مما يحدثه ، وتدبير النفساء واستخراج المشيمة وعمل القابلة، ويبحث في سر تكوين اللبن وارضاع المولود، وزمن نبات اسنانه ونموه الجسماني وفي العقل والذاكرة وتدرجه في التغذية من اللبن إلى ما يلائمه من طعام وشراب حتى يبدأ حياته المدرسية.

وليس لدينا اتساع في المجال لنذكر كتابات الطبيب الجراح ابو القاسم خلف الزهراوي في العاصمة الاندلسية او الطبيب الفيلسوف ابن سينا في ايران وكلاهما افاضا في مثل هذه الابحاث وتبعهما آخرون ايضاً بحثوا في مهنة القبالة واهميتها ومراحل الطفولة والدرس في حياة المولودين والصبيان حتى زمن التخصص في الدراسات اللاهوتية او الفلسفية او الطبية مع التشديد على الناحية الاخلاقية وآداب الجلوس ومعاشرة الاصدقاء واخلاق المهن الصحية.

ويكفينا هنا ان نختم بالقول ان علم التوليد قد بلغ في العصر العربي الذهبي اعلى الدرجات وتبوّأ مكاناً رفيعاً لم يبلغه في اية حضارة سابقة حتى العصور الحديثة وقد غبن المؤرخون ما قدمه العرب في هذا المضمار ومساهمتهم في هذا الحقل الصحي الهام إذ العناية بالاطفال، دليل على الاهتمام الحقيقي بالجيل الصاعد ليكون قوياً صحيحاً في جسمه ونفسه وخلاقاً مثمراً.. وما هي إلا احد الحقول التي ساهم فيها العرب بالنصيب الوفير لاعلاء شأن الحضارة الانسانية والعناية بالصحة الخاصة والعامة لرفاه الانسانية وسعادتها.



لمناسبة الاحتفاء بمرور ألف عام ميلادي على مولده:



ابن سينا

قائداً للفكر التربوي

د. الياس زين

ينبغي البدء بتهذيب الطفل وتعويده ممدوح الخصال منذ الفطام، أي قبل ان ترسخ فيه العادات السيئة، التي يصعب إزالتها، إذا ما تمكنت من نفس الطفل. اما إذا إقتضت الضرورة الإلتجاء إلى العقاب، فينبغي مراعاة منتهى الحيطة والحذر، فلا يؤخذ الولد اولاً بالعنف، وانما بالتلطف، ثم تمزج الرغبة والرهبة(٥).



* رئيس قسم اللغة الانكليزية وآدابها في الجامعة اللبنانية - الفرع الثالث.

لمن هذا الكلام، يا ترى؟! يبدو انه توجيه لمربٍ معاصر، لانه يوجز، في الروح والمبدأ، طريقة التربية والتهذيب للطفل المعاصر. ولكن، في الواقع، إنه ليس توجيهاً لمربٍ معاصر، من الغرب مثلاً، وإنما توجيه إبن سينا، موضوعنا، في هذه العجالة، والذي قاله منذ حوالي ألف عام.

إن الغاية من هذا البحث ان تسلط الاضواء على التربية والتعليم عند ابن سينا. ونعتبر إن **إبن سينا كان رائداً من رواد الفكر التربوي الصحيح في العصور الوسطى** وقائداً للفكر التربوي في كل العصور. هذا يعني إننا سنعالج ناحية مهمة من آراء ابن سينا وأفكاره في مجال التربية والتعليم، والتي تعتبر مجهولة لدى الكثير من الناس، حتى من قبل رجال التربية والتعليم انفسهم. ولا يخفى ان ابن سينا معروف في العالم كله، كفيلسوف وطبيب من الدرجة الأولى، طبّقت شهرته الآفاق. غير إننا في هذا البحث لن نتناول إبن سينا الطبيب والفيلسوف، وإنما المربي.

وهنا لا بد من الاشارة إلى نقطة مهمة وهي: عندما نطرح إسم إبن سينا كقائد او كرائد للفكر التربوي، فاننا نفعل ذلك بالنسبة لعصره بالطبع، لاننا نظلمه إذا ما نظرنا إليه، كمرب، بمعايير هذا العصر الحديث. ولكن على الرغم من مرور حوالي الف عام على آرائه وافكاره وتوجيهاته التربوية، فانها لا تزال قريبة من آراء المربين المعاصرين ونظرياتهم.

وبالتحديد فان مهمتنا، في هذه العجالة، ان نعرض آراء إبن سينا وافكاره التربوية، فسنركز على آرائه المتعلقة بصفات المعلم او المؤدب المرغوب فيه و بتربية اولاد ما قبل المدرسة، وبالتربية الصحية والنفسية، وبالتربية الخلقية، وبتفضيله التعليم الجماعي للطفل، وبتفضيله اللطف قبل العنف، وبالتوجيه التعليمي والمهني والنفسي. وأخيراً بالمنهج الدراسي المرغوب فيه للطفل.

وقبل أن نأتي إلى عرض آراء ابن سينا وأفكاره التربوية، يحسن بنا ان نلقي نظرة سريعة على نشأته وحياته وتحصيله العلمي.

نشأته وحياته وتحصيله العلمي:



إن إبن سينا، المعروف بالشيخ الرئيس، هو ابو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي. فهو يعتبر، حسب دائرة المعارف البريطانية، أعظم فيلسوف – عالم في الاسلام، فقد لقب بالمعلم الثالث بعد ارسطو والفارابي.

وُلد ابن سينا في افشنة، قرب بخارى (الآن في الاتحاد السوفياتي) في العام ٩٨٠ م. وتلقى العلم في تلك المدينة، على يد ابيه وبتوجيهه. ولما كان منزل والده ملتقى لرجال العلم، فقد إستطاع، منذ طفولته، ان يستفيد من صحبة سادة العلم في ذلك الزمان وعشرتهم. وكان يملك ذاكرة قوية جداً، وبقيت معه طوال حياته. وعندما بلغ العاشرة من العمر، كان حفظ القرآن الكريم ودرس الكثير من الشعر العربي. ونضج عقله في سن مبكرة. فقد عجز إستاذه الناتلي، عن مجاراته في علم المنطق وبزّه. وعندئذٍ إضطر إلى ان يعتمد على مطالعاته الخاصة. فدرس وحده الطبيعيات والآلهيات والطب، وسرعان ما مكّنته تجاربه في الطب من فهم هذه الصناعة فهماً جيداً. وبلغ في الطب منزلة اهّلته، وهو في السادسة عشرة من العمر، لان يكون مرشداً لعدد من كبار الاطباء في عصره. وما إن بلغ الثامنة عشرة من العمر، حتى كان إبن سينا قد اتقن المنطق والطبيعيات والرياضيات او لم يبق عليه إلا تحصيل ما بعد الطبيعة.

ويعد إبن سينا بحق واحداً من أكثر الكتاب إنتاجاً. فلقد كتب اعمالاً عديدة في الطب والفلسفة والمنطق والاخلاق وغيرها من حقول المعرفة. والف ما يقارب مائتين وخمسين مؤلفاً من بين كتاب ورسالة ومقالة، ترجم العديد منها إلى اللغات الاوروبية[٣]. ولهذا المفكر العظيم آراء تربوية وتعليمية في العديد من كتبه، التي كتبها باللغة العربية وباللغة الفارسية. بيد ان اكثر آرائه التربوية نجدها في رسالته «كتاب السياسة»، والذي يشمل فصلاً طريفاً، يظهر فيه كيف ينبغي للرجل ان يتعامل مع أولاده.

آراء ابن سينا في التربية

أورد هذا المفكر العظيم في اكثر كتبه الباقية، باللغتين العربية والفارسية، بعض آرائه القيمة المتعلقة بتربية الصبيان وبتأديب الاطفال. بيد ان اكثر آرائه التربوية المفيدة جداً، جمعت في رسالته المسماة كتاب السياسة. فعرض في الرسالة المذكورة واجب الرجل نحو ولده، فبسط أحوال تعليمه وتأديبه. فتحدث عن الصبي بعد فطامه عن الرضاع، وضرورة البدء بتأديبه ورياضة اخلاقه «قبل ان تهجم عليه الاخلاق اللئيمة»[٥و٧].

وتجدر الاشارة إلى ان إبن سينا، لم يحصر مهمته التربوية باعداد الناشىء للحياة الاخروية، كما هو الحال مع ابي حامد الغزالي (١٠٥٨ - ١١١١م) مثلاً، وإنما جعل التربية دينية ودنيوية في آن واحد. وفيما يلي نقدم عرضاً موجزاً لأبرز آراء إبن سينا التربوية والتعليمية.

لعل أبرز ما يوليه إبن سينا إهتمامه، في سياسته التعليمية، إختيار المعلم او المؤدب الصالح. فيشترط في المعلم، الذي يتولى امر الولد، ان يتحلى بأخلاق رفيعة. وفي هذا المجال، قال المربي إبن سينا، إنه ينبغي للمدرس ان يكون «عاقلاً، ذا دين، بصيراً برياضة الاخلاق، حاذقاً بتخريج الصبيان، وقوراً، رزيناً، بعيداً عن الخفة، والسخف، قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي»[١]. ويحذر إبن سينا المعلم من ان الالفة الزائدة في حضور الاطفال غير مرغوب فيها. وعلى الرغم من انه يشترط في المعلم ان يكون صلباً او قاسياً، إلا إنه يفضل ان يكون قريباً إلى القلب ولطيفاً وكريم النفس. وكذلك يشترط في المعلم ان يكون نظيفاً وملحوظاً لرجولته ولاستقامته، وان يعرف آداب اللياقة، وخاصة تلك المتعلقة بالنشاطات الاجتماعية والمحادثة وآداب المائدة[٩].

ولقد أعار ابن سينا إنتباهاً خاصاً لتربية الاولاد الصغار، بمن فيهم اولئك الذين في سن ما قبل مرحلة الدراسة. لانه يعتقد بان العادات والاتجاهات التي يكتسبها الطفل، في السنوات الاولى من عمره، تؤثر كثيراً على مجرى حياته في المستقبل. ولا ريب في ان إبن سينا كان قد تأثر بالفلاسفة اليونانيين، كما كان الحال بالنسبة لبقية المربين العرب[٩].

هذا وقد اهتم ابن سينا بمختلف اوجه التربية والتعليم، وبخاصة التربية الصحية والنفسية، والتربية الاخلاقية، والتوجيه التعليمي والمهني والنفسي ومنهج الدراسة.

التربية الصحية والنفسية:

واهتم إبن سينا بتربية الطفل الصحية والنفسية معاً. فعلى صعيد التربية الصحية، فقد نصح الرئيس الطبيب والمربي، بانه ينبغي للطفل ان يُحمّم بعد إستيقاظه وان يستيقظ من النوم باكراً. كما ينبغي ان يسمح للطفل ان يلعب ساعة واحدة، وبعدها يتناول وجبة فطور خفيفة. وبعد تناول الفطور ينبغي ان يسمح للطفل أن يلعب فترة اطول من الوقت، قبل أن يغتسل ويتناول طعام الغداء. وعندما يبلغ الطفل سن السادسة من العمر، ينبغي أن يوكل إلى معلم او مرب. وينبغي الا يقدم إلى الطفل كتب، إلا بطريقة تدريجية، او خطوة خطوة.

هذا ولم يهتم إبن سينا بصحة الولد الجسدية فحسب، بل اهتم ايضاً بصحته النفسية. ونصح كل من يهتم بشؤون الاطفال، الا يعرضوهم إلى غضب كبير او خوف كبير او قنوط. كما نصح المعلم ان يجد الاشياء التي يحبها الاولاد ويجعلها قريبةً جداً منهم، وفي متناولهم، بينما يجب إبعاد الاشياء التي

لا يرغبها الاطفال من حواليهم. ويرى ان الاشياء المناسبة التي تحيط بالاطفال مهمة، ليس لان الاطفال يحبونها، وإنما لانها تجعل الحياة اسهل لهم ومفيدة ايضاً، لكل من الجسد والروح معاً. فالمحيط الجيد يساهم او يساعد بخلق عادات جيدة، كما تساعد العادات الاخلاقية والروحية الجيدة بدورها صحة كل من الجسد والروح في آن واحد(٩).

التربية الخلقية:

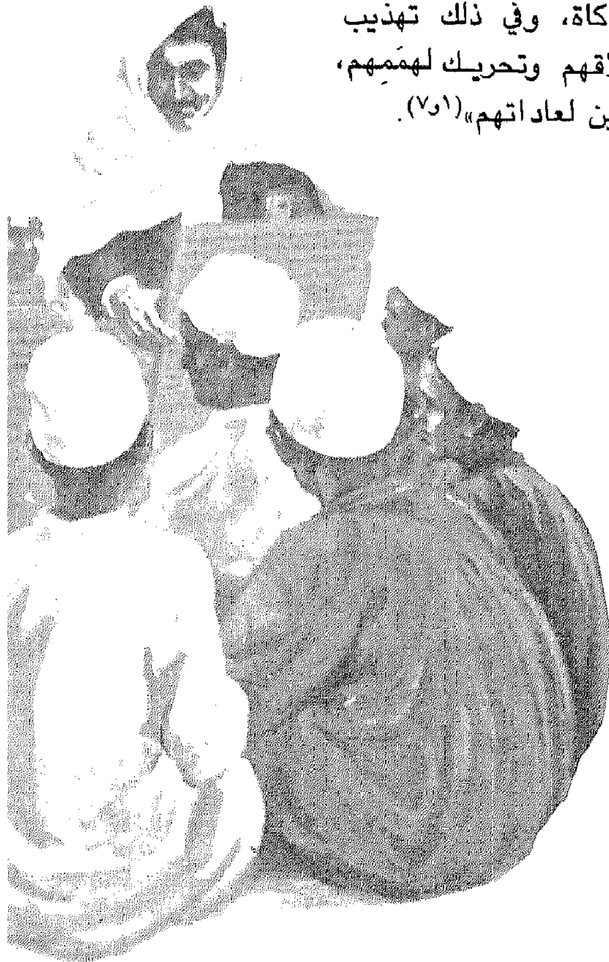
واما بالنسبة للتربية الخلقية، فان ابن سينا يصر ان تنطلق من مبادىء ثلاثة. فوفق المبدأ الاول، ينبغي ان يبدأ التدريب الخلقي بعد الفطام. وبهذا الصدد، يقول ابن سينا: «ينبغي ان يبدأ تدريب الولد الخلقي، في الوقت الذي يفطم، بحيث انه يستطيع ان يقاوم التأثيرات والعادات. وإذا ما تغلبت عليه العادات السيئة، في مرحلة الطفولة الاولى، فلن يستطيع ان يتخلص منها في المستقبل. وفي محاولة لانقاذ الولد، يجب ان يبعد عن العيون، الاساليب الشريرة، والعادات السيئة، وذلك باللجوء إلى مثل هذه التدابير، كما يتطلب الموقف ذلك: مدح او توبيخ، تحريض / تشويش او تخويف، حسن المعاشرة او الجفاء، إجابة او محاشاة... لهذا لعل اول شعر ينبغي ان يتعلمه الولد، ذاك الذي يرفع من شأن الفضيلة، ويعزز المعرفة، ويدين الجهل والغباوة، ويحث على احترام الوالدين، ويشجع الكرم (الضيافة) وكرم الاخلاق، وغير ذلك من الفضائل».

وينبغي للولد، وفق المبدأ الثاني، ان يعاشر تلك الفئة من اترابه الذين نشأوا وترعرعوا بطريقة حسنة ويتحلون بعادات جيدة. لان الطفل يميل إلى تقليد تلك الفئة من الاولاد من جيله، فيتعلم منها، ويتأثر بها، اكثر من اي فئة اخرى من الناس. وعندما يعاشر الاطفال واحدهم الآخر، فانهم يتبادلون الخبرات والتجارب والعادات. فان هذه المنافسة الايجابية والتقليد، سوف لا تجعل الاولاد، في نظر ابن سينا، اكثر نشاطاً وحيوية فحسب، وإنما تساهم ايضاً في تدريبهم الخلقي.

واما المبدأ الثالث، فينبغي ان يتولى امر تعليم الولد معلم مثالي، يتحلى بأخلاق رفيعة، وقد سبق ذكر ذلك(٩).

وهذه النقطة ترتبط بالنقطة السابقة، لا بل هي جزء منها، كما سنبين. يعتقد ابن سينا إن التعليم الجماعي افضل من التعليم الفردي للطفل، ويؤثر ابن سينا ان يكون مع الصبي اولاد آخرون من اشراف القوم، لان ذلك من شأنه ان يحثه على التحصيل، وان يبعد السأم عن نفسه. وفي هذا الصدد، قال:

«وينبغي ان يكون مع الصبي، صبية حسنة آدابهم، مرضية عاداتهم، لان إنفراد الصبي الواحد، بالمؤدب، اجلب لضجرهما، ولان الصبي عن الصبي القن، وهو عنه آخذ وبه آنس... وأدعى إلى التعلم والتخرج، فانه يباهي الصبيان مرة، ويغبطهم مرة، ويأنف عن القصور عن شأوهم مرة، ثم إنهم يترافقون ويتعارضون الزيارة، ويتكارمون ويتعارضون الحقوق. وكل ذلك من اسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهمَمِهم، وتمرين لعاداتهم»(١و٧).

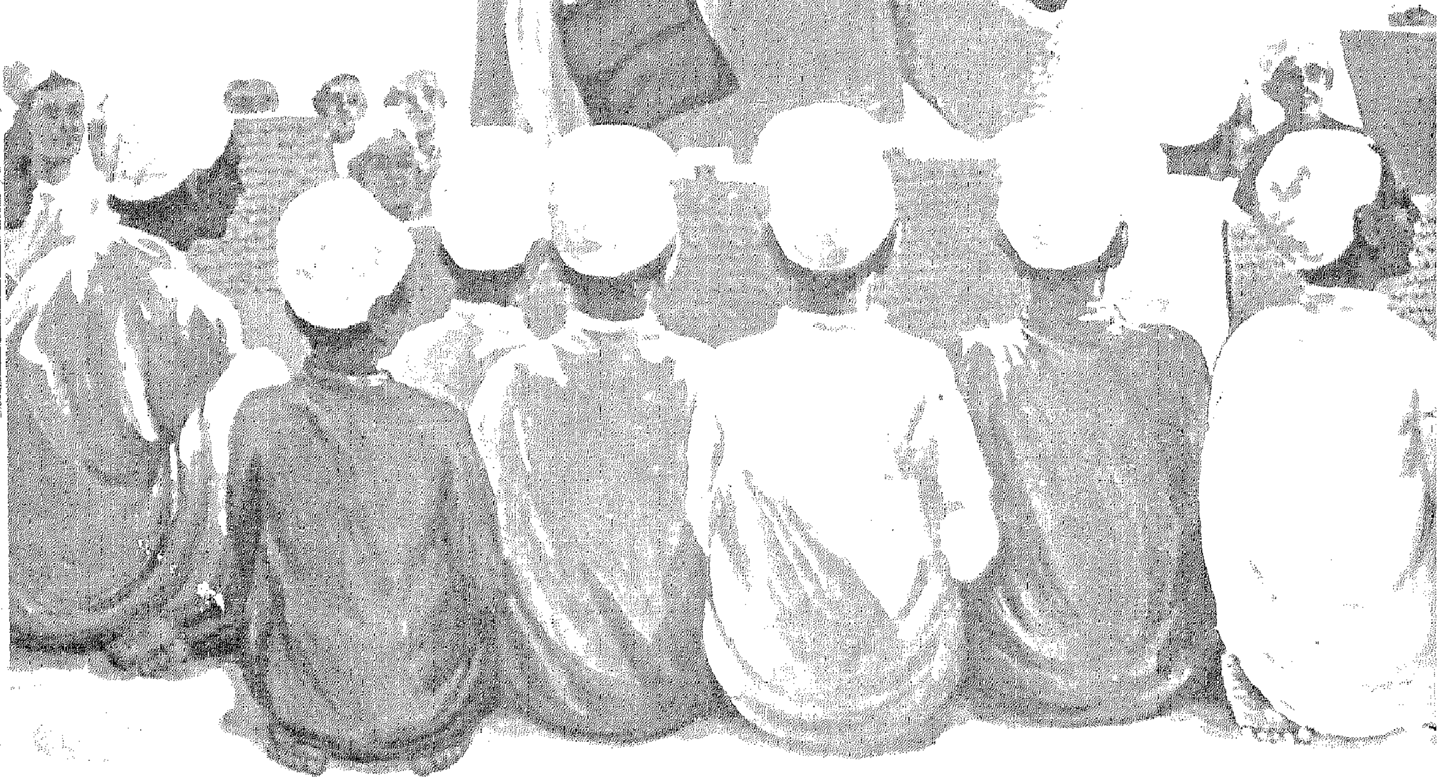


العقاب: اللطف قبل العنف:

وهذه النقطة ترتبط بالتربية الخلقية. فقد اهتم ابن سينا بشؤون عقوبة الطفل. ورأى ان الوقاية خير من العلاج. ونصح ببذل كل جهد لتأديب الطفل وتقويمه منذ الصغر. حتى يشب على الخصال الحميدة، وبذلك تنعدم الحاجة إلى العقاب. وهكذا يذهب إبن سينا إلى ضرورة البدء بتهذيب الطفل وتأديبه وتعويده ممدوح الخصال منذ الفطام، قبل ان ترسخ فيه العادات السيئة، او، على حد تعبيره. «قبل ان تهجم عليه الاخلاق اللئيمة». لانه من الصعب إزالتها إذا ما تمكنت من نفس الطفل ورسخت فيه. اما إذا إقتضت الضرورة الالتجاء إلى العقاب، فينبغي مراعاة منتهى الحيطة والحذر.



فلا يؤخذ الولد اولاً بالعنف، ولكن باللطف، ثم تمزج الرغبة والرهبة. وتارة يستخدم العبوس او ما يستدعيه التأنيب، وتارة اخرى يكون المديح والتشجيع اجدى من التأنيب. ولكن إذا لزم الامر للالتجاء إلى الضرب، فينبغي ان يتردد المربي. ويوصي بأن تكون الضربة الاولى موجعة، حتى تحدث في نفس الطفل الأثر اللازم وتجعله ينظر إلى عقابه بعين الجد. ولكن، في رأيه، إن كانت الضربة الاولى خفيفة، غير مؤلمة،



حسُن ظن الولد، فلم يحفل بالعقاب. على إنه لا يجوز الالتجاء إلى الضرب إلا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء، لاحداث الاثر المطلوب في نفس الطفل(٥و٧).

ولا بد من الاشارة هنا إلى ان هذا التوجيه يوائم، في الروح والمبدأ، مبادىء علم التربية الحديث. فهو، في الواقع، قريب مما يراه المربون المحدثون. فهؤلاء ايضاً يرون ان الوقاية خير من العلاج، ويرون إجتناب العقاب ما امكن، بيد إنهم يرون في الوقت نفسه، انه إذا ما اضطر المربي ان يلجأ للعقاب، فينبغي ان يكون العقاب إذ ذاك، قاسياً جدّياً. وبالاختصار فان علماء التربية الحديثة لا يحظرون العقاب مائة في المائة، وانما لا يسمحون باستخدامه إلا نادراً، وإن استخدم، فيجب ان يكون صارماً وجدياً(٥و٧).

التوجيه التعليمي والمهني والنفسي:

هذا ولابن سينا آراء قيمة في حقل التوجيه التربوي والمهني. فعلى صعيد التوجيه التعليمي او التربوي، ركز على وجوب مراعاة ملكات الناشىء وميوله الفطرية، وذلك في ما بعد مرحلة التحصيل الابتدائي. فينبغي ان يوجه التلميذ إلى الآداب او الرياضيات او العلوم الطبيعية، وذلك بحسب ميوله الفطرية. ولا يجوز، بأي وجه، قهر الناشىء على علم لا ينسجم مع فطرته(٧).

ثم اهتم إبن سينا بالتوجيه النفسي، الذي هو وثيق الصلة طبعاً بالتوجيه التعليمي. فابن سينا لم يؤيد سياسة التشدد والحرمان مع الاطفال – على خلاف الغزالي – وإنما نادى بضرورة مراعاة ميولهم وقابلياتهم وشهواتهم، والابتعاد عن كل ما من شأنه ان يعقد عليهم الحياة، ويعكّر صفاء مزاجهم، لايمانه ان صحة النفس والبدن تابعة لحسن المزاج.

ولعل أبرز ما تميزت به تربية إبن سينا، حرصه على تدعيم آرائه بمبررات نفسية. وقد نجح نجاحاً كبيراً في هذا الميدان. وربما يعود ذلك إلى ان ابن سينا كان قد إمتهن فن الطب(١).

وأما من حيث التوجيه المهني، فيوصي ابن سينا على الاخص بوجوب هذا النوع من التوجيه وبمراعاة الميل والحذق الفطري في ذلك ايضاً. فيحذّر من حمل الناشىء على صناعة (مهنة) لا يطيقها، ولا يَجد في ممارستها لذة خاصة(٧).

ويعتقد إبن سينا إنه بعد ان يتعلم الطفل القرآن الكريم وعناصر اللغة، ينبغي له ان يوجه إلى تعلم حرفة او مهنة مناسبة لقدرته العقلية ولمزاجه. وقد آمن ابن سينا بفروقات الاطفال الفردية للاطفال. فقد لاحظ مثلا، ان الناس تختلف في قدراتها وقابلياتها الذهنية والعقلية. فبعض الناس عندهم قابلية في البلاغة، وبعضهم في القواعد، وبعضهم في الشعر، وبعضهم في الخطابة، وبعضهم في علم النسب... وبعضهم يختار، مثلاً، الحساب، بينما البعض الآخر يختار الهندسة او الطب. لانه إذا كانت الفنون والصنائع في متناول كل البشر بسهولة، وإذا لم يطبق مبدأ «الشخص المناسب للمهنة المناسبة»، لكان كل الناس تختار بالاجماع المهن النبيلة، سواء في الفنون او في الصنائع(٩).

ومتى ينبغي ان يوجه المعلم التلميذ؟ يرى إبن سينا ان التوجيه المهني ينبغي ان يبدأ بعد ان يحفظ الصبي المواد الدراسية الاكاديمية. ويقول، في هذا المجال:

«فاذا فرغ الصبي من حفظ القرآن، وتعلم اصول اللغة، يشرع بدرس الرسائل والخطب والحساب والعناية بالخط. وعلى المؤدب ان يبحث له عن صناعة، فلا يجبره على العلم، إذا كان غير مبال إليه، ولا يتركه يسير مع الهوس. إذ ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مؤاتية، لكن ما شاكل طبعه وناسبه. وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام، دون المشاكلة والملاءمة، إذن، ما كان احد غفلاً من الأدب، وعارياً من صناعته، وإذن لاجمع الناس كلهم على إختيار اشرف الصناعات... ولذلك فينبغي لمدير الصبي إذا رام اختيار صناعة، ان يزن اولاً طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه، فيختار له الصناعة بحسب ذلك»(١و٥).

منهج الدراسة:

والآن نأتي إلى منهج الدراسة المرغوب فيه لابن سينا. يبدو ان مهمة التربية، وفق ابن سينا، لا تحصّر باعداد الناشىء للحياة الأخروية - كما هو الحال مع المربي الغزالي - بل جعلها دينية ودنيوية في آن واحد. لهذا يتألف المنهج من مواد دراسية دينية وخلقية وأكاديمية. فالى جانب تعلم القرآن ومعالم الدين ومكارم الاخلاق، اشار إبن سينا إلى ضرورة تدريس الاولاد اصول اللغة والرسائل والخطب والحساب والعناية بالخط. ثم حثّ بصورة خاصة إلى وجوب تدريب الصبي على صناعة تناسب طبيعته، وتمكنه فيما بعد من كسب عيشه(١).

الخاتمة:

وفي الختام نخرج من هذا العرض، لآراء وأفكار ابن سينا ونظرياته في التربية والتعليم، إلى القول: انه كان، في الواقع، رائداً للفكر التربوي في العصور الوسطى، ولا يزال قائداً للفكر التربوي الصحيح في كل العصور، وعملاقاً من عمالقة التربية الحديثة، ومربياً صالحاً. لهذا تسجل آراء ابن سينا وأفكاره ونظرياته، في حقل التربية والتعليم، رائعة من روائع الآثار العربية والاسلامية في الفكر التربوي. فبعد مضي حوالي الف عام عليها، فانها ما زالت تلتقي مع أحدث النظريات التربوية. هذا يعني، بكلام آخر، ان نظريات التربية الحديثة، التي يفاخر بها علماء البلدان الغربية، وبأنهم روادها، وانهم أول من جدّد وابتكر في ميدان التربية والتعليم، فهي ليست حديثة، ولكنها قديمة. فقد توصل إلى ابتكار بعضها، منذ مئات السنين، عمالقة الفكر العربي والاسلامي، وفي مقدمتهم إبن سينا والغزالي وإبن خلدون وغيرهم، من طائفة كبرى من المفكرين العرب، الذين عالجوا مواضيع التربية والتعليم، بالاضافة إلى مواضيع أخرى متعددة.



هوامش البحث ومراجعه

(١) الخوري، انطوان م. **أعلام التربية**. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤، ص٣٥، ٤١.

(٢) «ابن سينا»، **دائرة المعارف الاسلامية**، المجلد الاول، ١٩٣٣، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٣) الدفاع، عبد الله. «الشيخ الرئيس ابن سينا»، **المجلة العربية** (المملكة العربية السعودية)، العدد ١٢ (ايلول/سبتمبر ١٩٧٨)، ص٣٥ - ٣٩.

(٤) طلس، محمد اسعد. **التربية والتعليم في الاسلام**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٧، ص٩٢

(٥) عبد الدايم، عبد الله. **التربية عبر العصور**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٣، ص١٨٨ - ١٩٤ و ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٦) فخري، ماجد. **تاريخ الفلسفة الاسلامية**، ترجمة كمال اليازجي. بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤، ص١٨٠ - ١٨١.

(٧) اليازجي، كمال. **معالم الفكر العربي في العصر الوسيط**. بيروت: دار العلم للملايين، طبعة ثانية، ١٩٥٨، ص٢٤٨ - ٢٥١.

(٨) 'Avicenna, **The New Encyclopaedia a Britannica,** Vol.2 chicago, Ency. Britannica, Inc., 1978, p.540.

(٩) UNRWA UNESCO Institute of education. **Famous Names in Arab Islamic education.** (Mimeograph), pp. 4-6 (No Date).

علم الآثار والمدنية المصرية

د. نقولا زيادة



تمثال الملكة الفرعونية حتشبسوت

في سنة ١٨٥٠ ارسل متحف اللوفر في باريس مارييت الى مصر للبحث عن مخطوطات قبطية. لكن الرجل لم تكد قدماه تطأان ارض الكنانة حتى انصرف اهتمامه الى الآثار المصرية التاريخية، وبدأ الحفر في ممفيس في السنة نفسها. ولم يعد مارييت الى فرنسة بل انه قبل سنة ١٨٥٨ منصب مدير لادارة الآثار المصرية التي انشئت في تلك السنة، وظل في منصبه الى حين وفاته سنة ١٨٨١. وفي الثلاثين سنة التي قضاها في مصر حفر في ما لا يقل عن ثلاثين موضعا هاما بينها هياكل ابيدوس ومدينة حَبو والدير البحري وادفو وهيكل ابي الهول في الجيزة. وفي سنة ١٨٦٧ حمل مجموعة من الحلى المصرية القديمة الدقيقة الصنع الى باريس حيث عرضت في المعرض الكبير. ولما اظهرت الامبراطورة اوجيني رغبتها في الاحتفاظ بهذه المجموعة رفض مارييت ذلك واعادها الى مصر. واليه يرجع الفضل في انشاء اول متحف وطني للآثار لا في مصر فحسب ولكن في الشرق الادنى كله.

يعتبر مارييت رائد التنقيب الاثري في مصر. ومع ان الوسائل التي اتبعها كان يعوزها الاتقان، ومع ان الرجل لم يكتب تقارير وافية عن الحفريات التي قام بها، ومع انه اتلف كثيرا من الآثار في سبيل الوصول الى غيرها، مع هذا كله فهو صاحب فضل على العمل الاثري في وادي النيل.

ويأتي بعد مارييت فلندرز بتري وهو الذي جعل من التنقيب الاثري فنا علميا من حيث التخطيط والحفر والوصف والترتيب. وكان بتري يقوم بالاعمال باسم الجمعية البريطانية للآثار.

وقد ظل التنقيب عن الآثار في مصر حكرا على المؤسسات البريطانية والفرنسية الى سنة ١٩٠٠، ولكن بعد ذلك العام دخل الميدان جماعات اميركية والمانية وسويسرية وبلجيكية وايطالية. كما ان ادارة الآثار المصرية وجامعة القاهرة اخذتا على عاتقهما القيام بالحفر والتنقيب. ومن الاعمال التي تمت في القرن العشرين الكشف عن تل العمارنة وقبر توت عنخ امون والحضارة البدارية وغير ذلك. وكل عمل من اعمال رجال الآثار كان يزيد في معرفتنا لتطور الحياة المدنية في مصر عبر عصورها القديمة. وطبعا ثمة اسماء كثيرة واعمال اكثر لا يمكن التحدث عنها في هذه العجالة. ولكن لا بد من الاشارة الى ان العقود الثلاثة الاخيرة كان فيها توجيه نحو الفترة السابقة لعهد الاسر المصرية. وهنا لا بد من الاشارة الى اسماء سليم حسن وامري وزكي سعد.

لنكتف بهذا القدر من الاسماء ولننتقل الى استعراض للمدنية المصرية في اول عهدها. يقول امري «في فترة تقع حول سنة ٣٤٠٠ق.م. حدث تغيير كبير في مصر فاجتازت البلاد بسرعة من حالة العصر الحجري التي كانت مركبة تركيبا قبليا، الى مملكتين منظمتين تنظيما جيدا، الواحدة منها تشمل الدلتا، بينما تشمل الاخرى وادي النيل. وفي الوقت نفسه ظهرت الكتابة وتقدمت الفنون والصناعات والابنية تقدما مدهشا. وكل شيء يدل على وجود مدنية جيدة التنظيم بل يمكن القول بانها كانت مدنية فيها الكثير من الفخامة. وقد تم هذا كله في فترة زمنية قصيرة نسبيا، اذ انه ليس ثمة مقدمات او خلفيات تهيء لمثل هذا التطور في الكتابة والعمارة.»

وتلا ذلك، في غضون مدة لا تتجاوز القرنين، ان توحدت مصر كلها تحت امرة نرمر الذي كان ابنه اول ملك من ملوك الاسرة الاولى.

ونحن اذا القينا نظرة سريعة على حالة المدنية المصرية في تلك الفترة، وجدنا ان الملكية كانت، في ايام الاسرتين الاولى والثانية، مطلقة وان الملك كان يعتبر تجسدا للاله. ونجد ان الفنون والابنية، الدينية منها والرسمية، تعبر الى درجة كبيرة عن هذه الناحية.

اما في التجارة فنرى ان المصنوعات المختلفة والمواد الخام تنقل في داخل البلاد على نطاق واسع. فالحجر المعروف بالالبستر كان ينقل من الصحراء الشرقية، والبازلت من الفيوم، والرخام من المنطقة الساحلية للبحر الاحمر. وكان الفخار ينقل من مكان الى آخر



صورة تمثل مجموعة من الخدم يحملون كؤوس الخمر في طيبة

بكثرة. اما مع الخارج فقد كانت لمصر علاقات تجارية متينة. فقد كان النحاس والتوركواز يحملان من سيناء، وكانت الاخشاب تنقل الى مصر من لبنان وسورية خاصة الارز من لبنان. اما خشب الابنوس الذي كان يستعمل لتجميل الاثاث، فقد كان يأتي من الجنوب، وكان العاج يحمل معه. وما يهتم به علماء الآثار كثرة الاوعية التي كانت تحمل الى مصر من الخارج وخاصة من جبيل. ويبدو ان هذه الاوعية، التي تشبه الزجاجات او الجرار الصغيرة نسبيا، كان ينقل فيها زيت الزيتون الى مصر من فلسطين ولبنان وسورية. وكانت مصر تصدر الاوعية الحجرية الى لبنان وسورية وفلسطين وكريت وغيرها. وكانت المتاجر تنقل الى المناطق البحرية في سفن يرجح انها لم تكن مصرية.

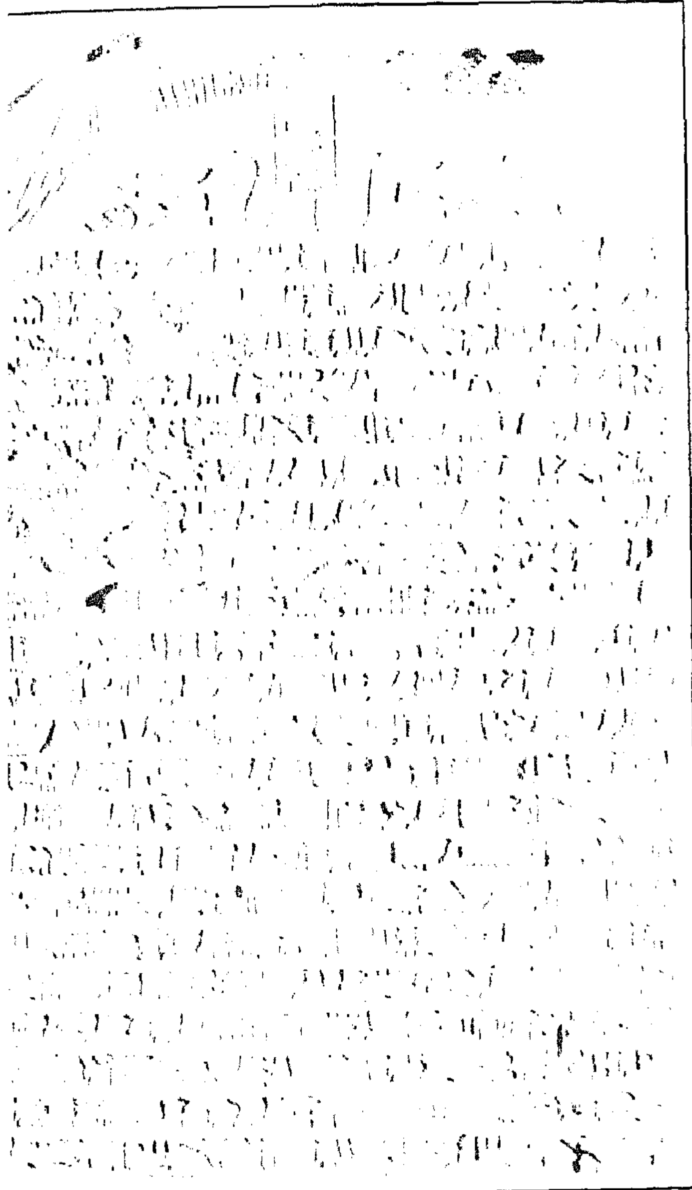
والحياة الزراعية كانت تقوم على الافادة من مياه النيل اثناء فيضانه. والصناعات الزخرفية والحياتية كانت كثيرة. والبناء الرسمي والديني، كالاهرام وقبور الملوك والقصور كانت ضخمة جدا، مثل تماثيل قدامى الملوك. لكن بيوت العامة، مثلها في اماكن اخرى معاصرة، كانت بسيطة.

نحن في هذا الحديث لا نريد ان نفصل نواحي المدنية المصرية الاولى. ولكننا نود ان نطرح السؤال التالي: ما الذي حدث حتى أدّى الى هذا التطور الهام في الحياة المصرية فنقلها من حياة قروية الى حياة مدنية ذات كتابة في الفترة السابقة لعصر الاسر الاولى؟

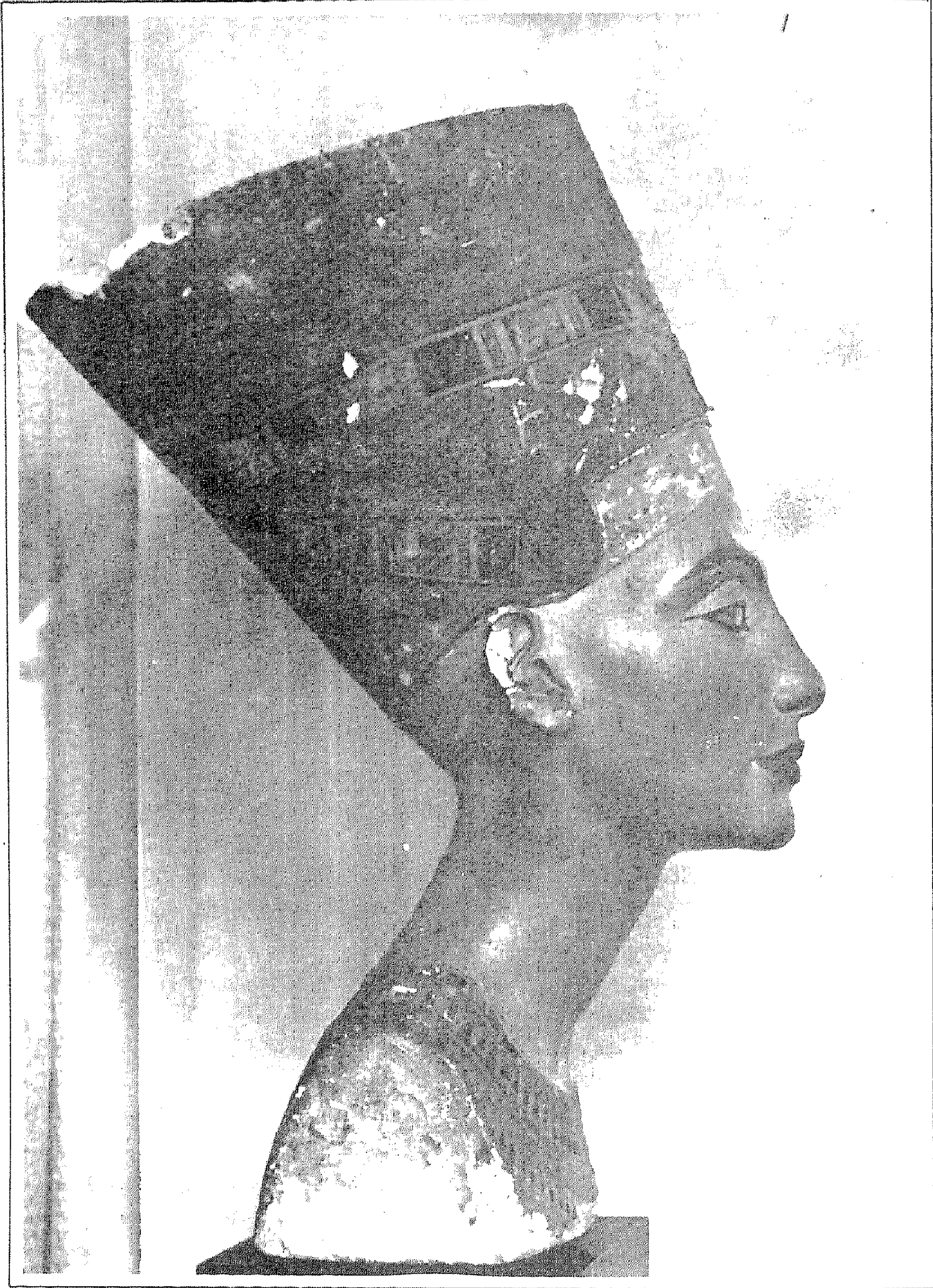
للاجابه على هذا السؤال يترتب علينا ان نذكر بضعة امور هامة. اولها ان مدنية السومريين اسبق عهدا من مدنية مصر القديمة الاولى. ثانيا ان تطور المدنية المصرية السريع كان نتيجة تأثر مصر بعامل او عوامل فعالة جاءت من الخارج. فهل جاءت هذه من ارض الرافدين؟ ثالثا اذا نحن تذكرنا ان اختاما اسطوانية من النوع المعروف عند السومريين وجدت في مصر، ادركنا لماذا اقدم المصريون على استخدام هذه الاختام فيما بعد. رابعا من الواضح ان الفن المصري الذي ظهر في هذه الفترة كان مشابها في الكثير من صفاته للفنون السومرية - مثل مناظر الصيد والقنص حيث



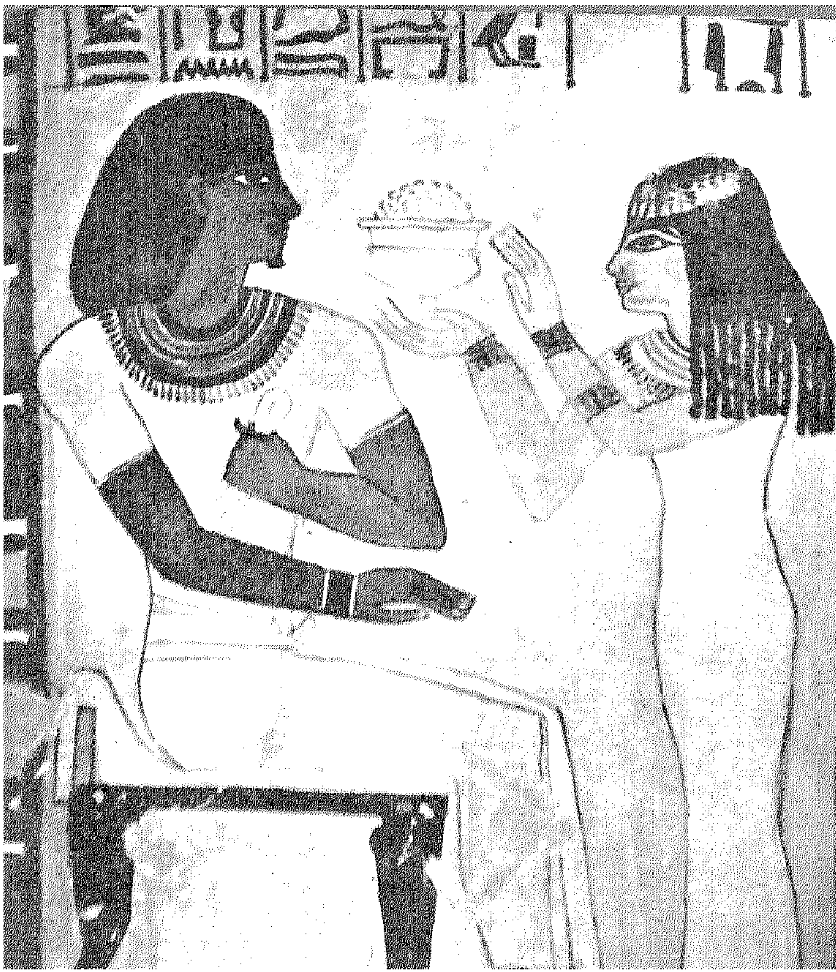
تمثال رعمسيس الثاني في الكرنك (المملكة القديمة)



مسلة كاموس اكتشفت عام ١٩٥٤ في الكرنك



من اشهر الآثار المصرية رأس الملكة نفرتيتي.



قبر سنُفر

تفترس السباع الابقار وحيث نرى على سكين من الصوان عثر عليها على مقربة من ابيدوس صورة للبطل تشبه البطل السومري غلغامش يخضع اسدين. خامسا ان البناء المصري في تلك الفترة يشبه في استعمال اللبن البناء السومري. وسادسا واخيرا يبدو ان الكتابة الهيروغليفية نشأت تحت تأثير الكتابة المسمارية، مع العلم بأنها لم تلبث ان اختلفت عنها.

وكان هذا يؤدي الى سؤال آخر. كيف تم هذا التأثير؟ كان الرأي من قبل، وهو الرأي الذي قال به فلندرز بتري، هو ان جماعة من الخارج دخلت مصر فاتحة وهي التي حملت عناصر المدنية الى وادي النيل. واضاف آخرون ان هذه الجماعة قد تكون ارض الرافدين موطنها الاصلي. لكن نظرية الفتح هذه قل المنافحون عنها الآن. والذي عليه الكثرة من الباحثين هو ان المدنية المصرية القديمة الاولى تطورت بتأثير من ارض الرافدين. لكن هذا التأثير كان نتيجة حافز حضاري قام بنقله افراد على مدى من السنين بسبب الاتصال الذي كان قائما بين البلدين.

ولا بد من الاشارة الى ان ثمَّة فرقين هامين بين مدنية السومريين ومدنية المصريين. الاول هو ان الملك في مصر كان تجسدا للاله اي انه كان الهيا في طبيعته، اما في ارض الرافدين فقد كان الحاكم وكيلا للاله على الارض. ويتبع هذا ان ارض الرافدين كان لمدنها، حتى في وقت مبكر، قوانين مدونة. وليس قانون حمورابي سوى حلقة في هذه السلسلة. اما مصر فلم تكن تحتاج الى ذلك: فكلمة الملك – الاله هي القانون. والفرق الثاني هو ان مصر انتقلت بسرعة الى الدولة الواحدة، اما ارض الرافدين فقد ظلت مدة طويلة تتكون من ممالك – مدن.

هذه هي القضايا التي تفسرها الحفريات الاثرية ودراستها. لكن يجب القول بأن مثل هذه الاراء ليست نهائية، ولكنها هي المقبولة اليوم تفسيرا للتاريخ الحضاري في تلك الديار.

مظاهر المقاومة وروادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي



الامير عبد القادر

(الحلقة الثانية)

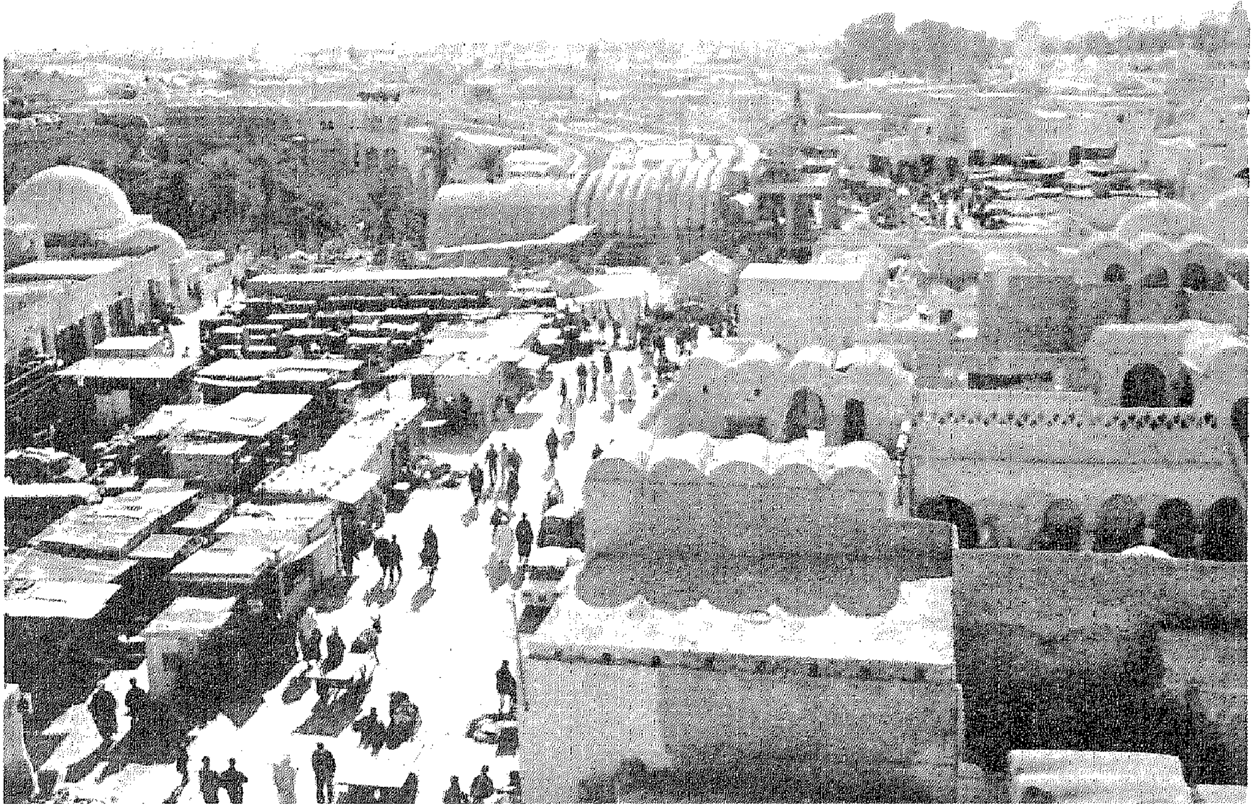
د. يحيى بوعزيز

احداث البابور والشمال القسنطيني فيما بين ١٨٤٠-١٨٧١

في الوقت الذي كان فيه الحاج مصطفى صهر الامير عبد القادر، والحسن بن غزوز، واحمد بلحاج، يقاومون القوات الفرنسية، في جبال المسيلة والحضنة وبو سعادة، وسهول سطيف، والبرج، ومجانة، عام ١٨٤٠ ثار سكان منطقة سكيكدة، وهاجموا قرية الحروش، وهددوا طرق المواصلات بين قسنطينة والموانىء الساحلية، واضطر الفرنسيون إلى اخلاء معسكر عين الترك غرب سطيف، ومارس الجنرال قالبوا: تخريب منازل السكان، ومزارعهم بصفة جماعية.

وثار سكان اولاد تبان في جبال بو طالب بزعامة الشيخ ساعد التباني، واولاد سيدي احمد بريغة القبالة، واولاد بني عبد النور غرب سطيف، وهاجموا القوات الفرنسية التي كانت تحارب جموع الحاج مصطفى، واتباعه، وجموع مولاي الطيب بعموشة.

وفي عام ١٨٤٦ برز مولاي محمد في غمولة ببني شبانة على الضفة اليمنى لواد الصومام، وكان من رفاق الثائر بو معزة في جبال الونشريس وحوض الشلف. فاستقر لدى اولاد صالح بجبال البابور، وقاوم نفوذ وسيطرة بو عكازة بن عاشور في فرجيوة، وهاجم بني ورز الدين، وتنقل بين القرى والمداشر، واصطدم بزعماء عائلة ابن عبيد، وعائلة ابن عاشور، المتعاونين مع جيش الاحتلال، ووقف إلى جانبه



مدينة «اواد».

الشريف سي موسى الاغواطي الذي اسس زاوية ببني يعلى، ونظموا عدة هجومات ضد القوات الفرنسية في السهول العليا وخاضوا معارك عدة في جبل غنيني وبني فوغال، والعلمة، وصدراته، واولاد نابت، وجبل مغريس وثنية، طكوكة، وجيجل، وعموشة، وبني عفيف، وبني وجهان، وبني يعلى، وبني ورتلان، وبني عيدل، وبني جماتي، وبني عباس، واولاد سيدي ابراهيم(٦).

وخلال اندلاع ثورة سكان واحة الزعاطشة عام ١٨٤٩، اغتنم سكان البابور، الفرصة، وحملوا السلاح، وثاروا ضد القوات الفرنسية واعوانها، فامتدت اليهم ثورة الشريف بو بغلة التي انطلقت في بني مليكش عام ١٨٥١ بجبال جرجرة، وبرز الشريف بو صبع في هضبة القل ليدعم ثورتهم، وثورة بو بغلة ورفاقه، واضطر الجنرال بو سكي، وماكماهون، وسانت ارنو، ان يقودوا قوات ضخمة لمواجهتهم ومحاربتهم(٧).

ولم تنته احداث بو بغلة، وبو صبع، بالبابور، حتى اندلعت احداث اخرى في ربيع عام ١٨٥٦، وامتدت إلى العام الموالي، وخاض الثوار معارك كثيرة، في خراطة، وواد البرد، ومجاز النوق، وخلف الله، وجبل منتانو، وعين سلطان، وتاقربوست، وراجت اشاعات بين السكان بأن الفرنسيين يسعون لطردهم من املاكهم، واراضيهم، ليملكوها للمعمرين الاوروبيين القادمين من اوروبا، وسيجندون شبابهم، وابناءهم كذلك للعمل في الجيش الفرنسي، وقويت هذه الاشاعة كثيراً بعد ان تم انشاء مركز تاقيطونت العسكري، فثاروا وهاجموه، وسقط ضحايا كثيرون من الطرفين.

وفي صيف عام ١٨٤٨ اندلعت الاحداث الثورية مرة اخرى في هضبة جيجل، والقل، وحوض واد الكبير، بعد ان قامت السلطات الفرنسية بتمليك غابات الفلين(الفرنان) إلى المعمرين الاوروبيين ليستغلوها ويستثمروها، واشعل الثوار النيران في الغابات، واحرقوا

حوالي ٥٥٠ الف شجرة فرنان، ورفضوا دفع الضرائب للسلطات الفرنسية الاستعمارية، وجدوا في اقتناء الاسلحة والذخيرة، واضطر الجنرال غاستو: (Gastu) ان يهاجمهم بقوات ضخمة، وينشىء مركز الميلية العسكري على الضفة اليمنى لواد الكبير، ليدعم القوات الفرنسية ويحميها.

ومع ذلك لم تتوقف ثورات سكان البابور، فاستغلوا رحيل القوات العسكرية الفرنسية إلى ايطاليا للمشاركة في الحروب التي اندلعت بها عام ١٨٤٩ وجدوا في اقتناء الاسلحة والبارود، وهاجموا الاسواق التي يرتادها الفرنسيون، وقطعوا خطوط الهاتف بين قسنطينة وجيجل اربع مرات، وساءت الاوضاع كثيراً في الزواغة، وواد الكبير، وفي دائرة جيجل، مرة اخرى، وخاض الثوار ضد الجنرال ديفو، وقواته التي تبلغ عشرة آلاف جندي، معارك كثيرة وضارية في العروسة، وبو طويل، وينتمون إلى اولاد علي، وبني عيشة وبني حبيبي، وبني يدر، وبني فتاح، وبني مسلم، واولاد عواط، وبني طوفوط، واولاد عيدون، وعرب تاسقيفت، وغيرهم.

ثورة سكان الزواغة وفرجيوة واسبابها عام ١٨٦٤

كانت منطقة فرجيوة تشتهر بعائلة بو عكاز بن عاشور الذي تولى مشيختها من طرف الحاج احمد باي عام ١٨٣٤، واشترك معه في حروبه ضد الفرنسيين، واتسع نفوذه حتى شمل كل مناطق فرجيوة، وساحل البابور، وبني فوغال، واولاد عمران، واولاد سيدي علي، والرواشد وسواحل جيجل.

وبعد احتلال الفرنسيين لمدينة قسنطينة عينه الماريشال فالي شيخاً على فرجيوة تحت امرة الخليفة بلحملاوي، واشترك في عملية استكشاف الطريق بين قسنطينة وسطيف لقافلة فالي التي ستعبر مضيق البيبان في اكتوبر ١٨٣٩، وتآمر على رئيسه بلحملاوي ولفق ضده تهة فعزله الفرنسيون ونفوه مدة إلى تونس، على امل ان يحل في مكانه.

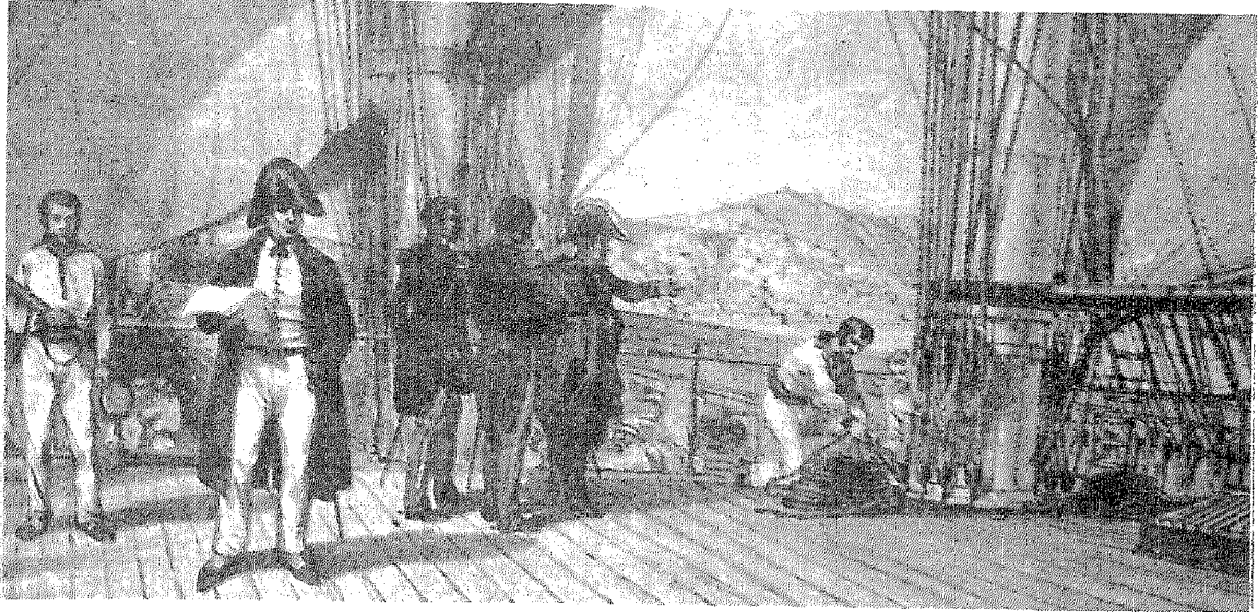


داي الجزائر حسين باشا

وفي عام ١٨٥٠ اقتيد إلى قسنطينة، ورافق الجنرال سانت ارنو في حملته العسكرية الضخمة على بلاد البابور في العام الموالي، بين قسنطينة، والقل وجيجل، واستعمل كأداة لاخضاع السكان، ومنح نيشان الشرف بعد عودته، واذن له بالذهاب إلى الحج لعدة شهور.

وخلال السنوات التالية اشترك مع الفرنسيين في كل العمليات العسكرية التي شنها الجيش الفرنسي على هذه المنطقة حتى عام ١٨٦١، ثم تغيرت الاوضاع عليه، واصدر الجنرال ديفو قراراً في شهر نوفمبر بابعاده من فرجيوة إلى قسنطينة، وقسمت ناحيته إلى منطقتين اثنتين: فرجيوة وعين عليها سي أحمد خوجة، والبابور والدهامشة وعين عليها سي احمد بن الدراجي، وكلاهما من اقاربه وكان ذلك بداية لانهيار مركزه ونفوذه وضعف شخصيته فأخذ يميل هو الآخر إلى الثورة.

أما الزواغة، فقد اشتهرت بها عائلة اولاد بني عز الدين الذين كانوا يتولون مناصب في



الجنرال بورمون والاميرال دوبيري في طريقهما الى الجزائر يقودان ٦٠٠ سفينة تحمل ٣٧٠٠٠ جندي

عهد الاتراك واشتهروا بعد الاحتلال الفرنسي باثارة الاضرابات وعندما غزا الجنرال بيدو مناطق بني قايد، وبني خطاب، واولاد عيدون، عام ١٨٤٧ تمهيداً للتوسع الاستعماري في البابور، وضع اولاد بني عز الدين انفسهم تحت تصرف السلطات الفرنسية، وبرز بورنان كزعيم مشاغب، وحاول ان يستغل احداث ثورة الزعاطشة لاثارة السكان، فاقترح ابن عاشور على السلطات الفرنسية ان تعينه قائداً على المنطقة فأخذت برأيه، واعدت مشروعاً واسعاً لاحتواء زعماء اسرة ابن عز الدين فعين بو لخراص قائداً على موية، وبني تليلان، وبني ابراهيم، وعين الشيخ محمد بن عز الدين قائداً على الزواغة، واولادعسكر، واولاد يحي، واولاد موات، وعين بورنان قائدا على حوض واد الكبير.

واشرك بورنان بعد ذلك في حملة سانت ارنو الكبيرة عام ١٨٥١ مثل بني عاشور واظهر حماساً في محاربة السكان بواد انجة، وفج باينان والودية وفج العربة، وكازان، وفج منازل، والعروسة،. اشترك مع ماكماهون في غزو حوض واد الكبير عام ١٨٥٢، وبقي على اخلاصه حتى عام ١٨٥٨ ثم تغيرت الاحوال والاوضاع ضده، فاتهم باشعال الحرائق في غابات الفرنان، ومهاجمة الشيخ بو طمين في الضفة اليسرى لواد الكبير، ويقطع الهاتف بين جيجل وقسنطينة، وقتل العمال الثلاثة بالميلية، وتشجيع الناس على الثورة وحمل السلاح كما ادعى فيرو ذلك.

وقامت السلطات الفرنسية باعداد ملف كبير ضده، وصفت معه الحساب في ربيع عام ١٨٦٠، إذ اتهمه الجنرال ديفو بتحريض الناس على عدم دفع الضرائب، ومهاجمة قواته في سيدي معروف، وبادر هو وابن اخيه عز الدين بن الشيخ محمد، وقام بتصفية نفوذ اسرته كلها ما عدا اثنين وهما: بو لخراص الذي ابقي قائداً على موية منذ تعيينه عليها عام ١٨٥٠، والحاج بن عز الدين الذي عين قائداً على بني بدر في جيجل منذ عام ١٨٥٩ وابقى عليهما.

وقد قدم، بورنان وابن اخيه عز الدين، إلى مجلس حربي، ونفيا إلى تونس حيث توفي بورنان، وسمح لولديه: علاوة، وعبود، بالعودة إلى الجزائر.

أسباب اندلاع ثورة الزواغة وفرجيوة

لقد ساد الهدوء منطقة الزواغة، وفرجيوة، حتى مطلع عام ١٨٦٤، ثم اندلعت فيها الاحداث وارتمى فيها كل افراد اولاد بن عز الدين واولاد ابن عاشور الذين استطاعوا ان يلحقوا بها، ومن اهم اسباب هذه الثورة حسب رأي شارل فيرو[٨].

أولاً: تأثير ثورة اولاد سيدي الشيخ التي اندلعت بالبيض، وستيتن بالجنوب الوهراني، وانتشرت احداثها في معظم انحاء الجزائر الغربية والوسطى ووصلت تأثيراتها إلى شرق الجزائر القسنطيني.

ثانياً: تأثير ثورة علي بن غذاهم بتونس التي اندلعت ضد الباي الذي كان العوبة في يد القناصل الاجانب، ووصلت تأثيراتها إلى الشرق القسنطيني عبر الحدود الشرقية خاصة مدينة الكاف التي كان يستقر بها عدد كبير من اللاجئين الجزائريين المنفيين ويقومون بالدعايات الواسعة ضد الاستعمار الفرنسي ويحثون على محاربته.

ثالثاً: بروز عدد من رجال الدين، والمقدمين الرحمانيين بالمنطقة قاموا بحث الناس على حمل السلاح والثورة ضد المستعمرين الفرنسيين واعوانهم، ومن بين هؤلاء:

- الشيخ الحاج حجوج بميلة: الذي ادعى للناس بأنه تلقى تعليمات بالحجاز في السنة الماضية من طرف نائب السلطان العثماني، بأن يقوم بالثورة ضد الفرنسيين، ويدعو السكان لها.
- الشيخ بو قرين، في اولاد عبد النور بقرية كارب، الذي سعى هو الآخر للقيام بالثورة.
- الشيخ مولاي محمد مقدم الطريقة الرحمانية بالزواغة الذي كان له انصار كثيرون في مدينة قسنطينة نفسها، فحثهم جميعاً على الثورة وحمل السلاح في الاجتماع الذي عقده بمنزله يوم عيد الفطر لعام ١٢٨١هـ (١٠ مارس ١٨٦٤م) وأكد لهم بأنه بعد ثمانية ايام ستندلع الثورة، ووفى بوعده، وانطلقت حوادث العنف فعلاً يوم ١٨ مارس ١٨٦٤ بالهجوم على برج القائد حمو بقرية الزغاية الذي خلف بورنان في منصبه، وعقد اولاد ابن عز الدين واولاد بن عاشور، عدة اجتماعات لتنسيق العمل رغم الاختلافات التي كانت بينهم سابقاً.

ورغم قيام السلطات الفرنسية باعتقال المقدم مولاي محمد، وايقاف بو عكاز بن عاشور في قسنطينة، والقائد بو لخراص في جيجل، وعبود وعلاوة، فإن معظم اولاد بن عز الدين القاطنين بقسنطينة التحقوا بالثورة، ولحق بهم اخوانهم المنفيون بتونس خلال (حزيران) جوان، وحدثوهم عن اخبار ثورة بن غذاهم، واشاعوا بينهم بأن سفنا حربية محملة بالسلاح هي في طريقها إلى تونس من القسطنطينية، وان السلطان العثماني عبد العزيز نفسه سيصل إلى الجزائر قريباً ليحررها من الغزاة الفرنسيين الاجانب.

وقد تصدى الثوار لقوات الجنرال بيريقو التي كانت تقدر بحوالي عشرة آلاف جندي وهاجموه في برج القانون قرب واد الحليب وارغموه على نقل معسكره إلى اطراف واد الكبير ليدافع عن نفسه وعن قواته، ثم استدعي إلى منطقة الحضنة وبو سعادة ليواجه احداث ثورة اولاد سيدي الشيخ التي وصلت إلى هناك، فاستخلف في مكانه القائد بن حبيلس كبديل للقائد حمو الدراجي صهر بو عكاز بن عاشور، ولكنه واجه صعوبات كبيرة لان الناس رفضوا طاعته، وامتنعوا عن دفع الضرائب له، وحاولوا اغتياله، وارغموا عمال طريق شعبة الآخرة بعموشة، على التوقف عن العمل، وخرّبوا محطة العمل، وهاجموا زمالة قائد اولاد صالح بعموشة، وبرج تاقيطونت العسكري وبرج القائد حمو او عاشور، القائد السعيد بن عبيد في ذراع القائد ببني سليمان وساحل قبلي، ومعسكر اوقاس على ساحل بجاية وخرجوا قرية الدهامشة، واضطر الفرنسيون ان يجندوا قوات اخرى بقيادة الكولونيل اوجورو، والجنرال بيريقو الذي عاد مرة اخرى إلى البابور بعد ان ساءت الاوضاع كثيراً، ولم تنته حوادث الثورة هذه حتى صيف عام ١٨٦٥.

ثم ساد الهدوء مرة اخرى منطقة البابور لغاية عام ١٨٧١، حيث اندلعت الثورة مرة اخرى، بأولاد عيدون في الميلية، في شباط فيفري، وبمعظم مناطق البابور بعد ذلك وحمل السكان السلاح بصورة جماعية بعد اندلاع ثورة المقراني والحداد بمجانة، وصدوق، في نيسان ابريل ولعبوا دوراً بارزاً فيها بقيادة بو مزراق، وعزيز الحداد، وعمر بو عرعور، وابن فيالة والحسين مولاي الشقفة، وغيرهم، وسجلوا



ابطال الغد.

صفحة مشرقة ومشرفة في تاريخ المقاومة الوطنية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي في هذا القطاع القسنطيني ودامت الحوادث إلى اواخر شهر اكتوبر. تشرين الاول.

مصير زعماء ثورة ١٨٦٤ و ١٨٧١

لقد واجه الفرنسيون بقسوة وشدة الثوار في كلا المرحلتين السابقتين فقد قبض على بو عكاز بن عاشور، واودع السجن بقصبة قسنطينة من ١١ نيسان إلى شهر آب ١٨٦٤ ثم نفي إلى مدينة بو جنوب فرنسا إلى ان صدر عليه العفو عام ١٨٦٥ فعاد إلى الجزائر العاصمة وفرضت عليه اقامة جبرية حتى عام ١٨٧٠ ثم سمح له بالعودة إلى قسنطينة فعاد مسروراً.

أما اولاد ابن عز الدين فقد نفوا إلى مدينة كورتي (Carté) بشرق جزيرة كورسيكا، وتوفي هناك عبود، وسمح لبو لخراص، والحاج بالاتجاه إلى تونس للالتحاق بأبناء عمومتهم المنفيين هناك منذ عام ١٨٦٠.

وحاكموا عدداً من ثوار ١٨٧١، وصادروا املاكهم ونفوا البعض منهم إلى نوميا بكاليدونيا الجديدة، والبعض إلى فرنسا وكورسيكا والبعض إلى كيان بأمريكا الجنوبية.

هكذا بهذا الاسلوب تخلص الفرنسيون من اولاد ابن عاشور، واولاد ابن عز الدين عام ١٨٦٤، ومن الثوار الآخرين عام ١٨٧١، وهو نفس الاسلوب الذي اتبعوه بعضاً العائلات الاخرى كعائلة المقراني بممانة وعائلة اولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني، وعائلة الحداد بصدوق.

تلك هي باختصار مظاهر المقاومة بالشرق الجزائري، واولئك، هم بعض روادها، وتلك هي خصائصها، وذلك هو رأي الفرنسيين وموقفهم منها، ومع ان الفرنسيين اهتموا بتسجيل احداثها خاصة شارل فيرو، ولويس ريسن، وروبين وشاتولين،٠ إلا ان ذلك تم من وجهة نظر استعمارية، ولا بد من البحث من جديد عن وثائق جديدة عنها، واعادة صياغتها من وجهة النظر الوطنية الامنية، وهي مهمة الباحثين الجزائريين في جامعات الجزائر الصاعدة، والارشيفات الاجنبية خاصة الفرنسية والتركية والتونسية والمغربية تزخر بكثير من هذه الوثائق وتنتظر من يزيل عنها غبار النسيان والاهمال وينقذها من الارضة، والتلف.

الهوامش

(٦) انظر يحيى بو عزيز المجهولون من زعماء المقاومة في الشرق الجزائري. الاصالة. عدد ٥٤/٥٥. (الجزائر - فيفري - مارس ١٩٧٨) ص ٢١ - ٥٨.

(٧) انظر يحيى بو عزيز اضواء على انتفاضة سكان الزعاطشة والشيخ بو زيان عام ١٨٤٩. الثقافة. عدد ٣٢ (الجزائر . ابريل. ماي ١٩٧٦) ص ٣٩ - ٥٠.

(٨) انظر يحيى بو عزيز ثورات سكان الزواغة وفرجيوة بالبابور ضد الاستعمار الفرنسي وقضية الحاج بن عز الدين. الثقافة. عدد ٤٠ (الجزائر - اغسطس - سبتمبر ١٩٧٧) ص ١١ - ٢١.



مصادر تاريخ السودان القديم

ابراهيم
موسى
حمدون

ان الالمام بمصادر البحث خطوة رئيسية نحو الدراسة المنهجية الاصيلة والبحث العلمي الجاد واي دراسة غير مستوفاة المصادر تكون في الغالب مهزوزة الاساس جزئية النتائج. وحتى يتسنى لنا الاستئناس بمصدر من المصادر وترجح حوادثه ترجيحا يجعله قريبا من الحقيقة يحسن موازنة المصادر المتنوعة واخذ ما اكدته مجتمعة او إذا اتفق عليها اكثر من واحد حتى نصل الى تصور معقول للحوادث القديمة اذ لا سبيل الى راي قاطع في حوادث مضت عليها عدة قرون. ◀

سيتناول هذا المقال مصادر دراسة
تاريخ السودان منذ اقدم العصور
حتى مطلع القرن السابع الميلادي
– في مسح شامل دونما تحديد لتفاصيل دقيقة
– في اربع نقاط اساسية وهي:

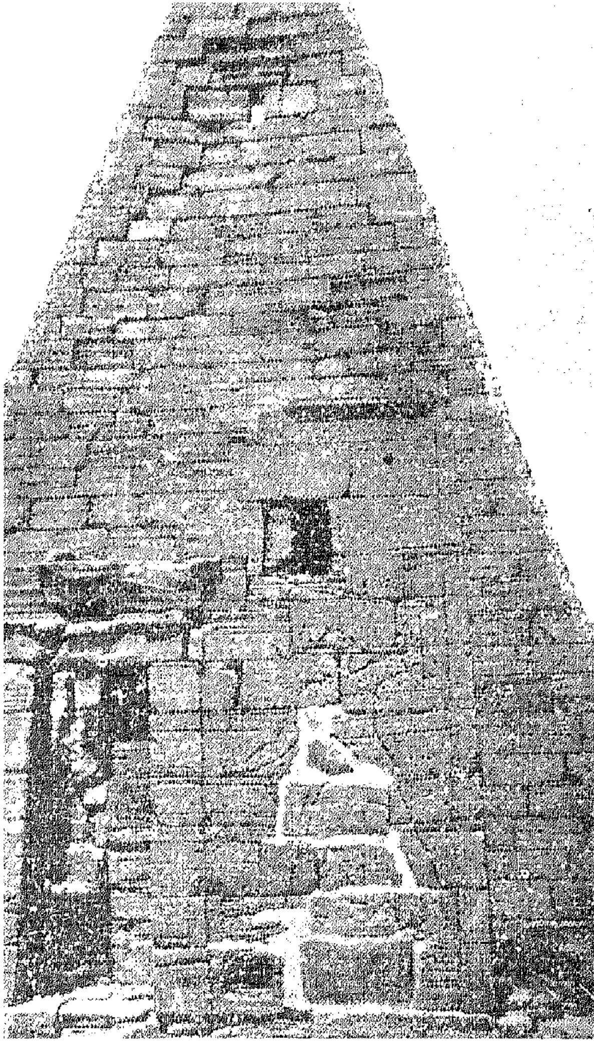
الاشارات التي دونت في الحضارات الاخرى، وما كتبه المؤرخون الكلاسيكيون – الاغريق – والرومان، والمكتشفات الاثرية واخيرا اللغات المحلية والخارجية.

تدرجت الدراسات السودانية القديمة .عبر مراحل ثلاث بدأت بالرواد الاوائل من الرحالة والمكتشفين الذين زاروا السودان وسجلوا ملاحظاتهم عن البقايا الاثرية، اولهم جيمس بروس(١٧٧٢) ثم بوركهارت(١٨١٤) واستطاع فردريك طايو(١٨٢٠) رسم كثير من آثار النوبة ونشر رتشارد ليوسيس بعض الرسومات الاثرية لمنطقة البطانة في مجلد وزوده ببعض الخرائط. ويعتبر من اهم الرواد الاوائل لعلم الآثار. ولم تتعدى ملاحظات الرواد الاوائل السطح ولم يقم احد منهم بحفريات منتظمة.

يصعب قبول الروايات الشفهية والسماعية كمصدر للتاريخ القديم وذلك لبعد الشقة الزمنية والحضارية والسلالية بين الاجيال الماضية والمجتمعات الحاضرة.

وفي المرحلة الثانية قام الدكتور يدج (١٩٠٢ – ١٩٠٥) باجراء حفريات في منطقة مروى القديمة وفحص بعض اهرامات البجاويه. ويعد رايزنو اهم بل اميز علماء آثار السودان وقد عمل بصبر وجهد مضن وسخر امكاناته العلمية القليلة. ونجح في كشف كثير من البقايا الاثرية. فقد كشف النقاب عن مدافن الاسرة المالكة في الكور ونورى والبركل ومروى القديمة. والقى ضوءا على حضارة المجموعات وكرمه في الشمال والتي تعتبر النواة الحضارية الاولى بالسودان كما وضع اول جدول زمني لتسلسل ملوك (نبته – مروى) التاريخي.

واشتهر قرينث في مجال اللغات السودانية القديمة فقد اكتشف الابجدية المرويّة وفك رمز كتابتها وتعرف على بعض مميزاتها وخصائصها واشتهر في هذا المجال من بعدهما دمنهام ومكادم وهنتزا ولكلاندوسيتي ومايللوفسكي



اهرام قديم من شمال السودان

وكثير منهم لا يزال نشط الابحاث.

ودخلت الدراسات السودانية طورها الثالث في نحو عام ١٩٥٥ حيث بدأت حملة انقاذ آثار النوبة قبل ان تغمرها مياه السد العالي. وازداد تبعا لذلك نشاط البعثات الاثرية الاجنبية والمحلية بصورة ملحوظة. واتت هذه الفترة وهي لا تزال مستمرة (وقد تقدمت نحو الجنوب) بالمنهج العلمي المزود بالمعدات الحديثة المتخصصة ومن اميز علماء هذه الفترة وليام آدمس د.وكلارك وغيرهما.

وبفضل هذه الجهود العلمية تطورت الدراسات السودانية «القديمة» وتنوعت وانشئت لها مدارس في مختلف الجامعات والمعاهد العليا في العالم وتمكن الباحثون من تناول الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والانظمة الادارية وعرفت بعض مناحي الحياة اليومية في السودان القديم.

١ - الحضارات القديمة واشاراتها:

للسودان القديم صلة وثيقة بمصر وكثير من الحوادث في مصر كان لها اثرها في حياة النوبة كما اثرت حوادث النوبة في حياة مصر القديمة. فهناك اشارات عن السودان القديم في كتابات المقابر التي دفن فيها اشراف مصر الذين كانوا يتجرون مع جماعات واوات ديام في بلاد النوبة كرجلات خركوف ومبيني تحت دسينى في عهد الملك بيبي الثاني. ثم نقوش اوف التي تدل على وجود تومبين (تاتحس) مرتزقة في جيوش مصر. ومنها يستخلص المرء الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في النوبة واشارات واضحة للسودان القديم في المعلومات الرسمية المدونة في سجلات فراعنة مصر في المملكة القديمة والوسطى والحديثة - وظل السودان تحت سيطرتها ردحا من الزمان. مثل مسلة المملكة الوسطى على عهد الملك سويزوسترس الثاني التي اوضحت الحدود بين مصر والسودان. ولقد دون الاشوريون صلاتهم بالنوبة والقت سجلاتهم بعض الضوء على الاحوال السياسية في كوش وقوتها الحربية. وآثار الملك الاكبر ميزانا في المصادر الحبشية مدعيا تبعية بعض اجزاء السودان القديم لدولته[١] ويظن ان خراب محلكة مروى كانت على يديه وهذه عبارة تحتاج الى تدقيق ونظر.

ان المعلومات التي تمدنا بها حضارات الدول المجاورة تكون غالبا مرتبطة بالامور السياسية والحربية وتعكس فترات اضطرابات وغزوات ومبالغة في وصف الجيوش ومقدرة المحاربين القتالية وربما دون بعض الملوك في سجلاتهم انتصارات وهمية على معارك قد هزموا فيها فعلا. لذلك يحسن اخذها بشيء من الحيطة والحذر وعدم التسليم الكامل بصحة الحوادث.

٢ - المؤرخون الكلاسيكيون الاغريق والرومان:

تغطي اشارات الكتاب الكلاسيك فترة زمنية طويلة منذ القرن السادس والخامس قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي فقد ذكر هردوتس السودان القديم وبعض انظمته الحربية وذكر بيون (Bion) واراتو ستويش (ERATOSTHENUES)[٢] في القرن الثالث قبل الميلاد واشارا الى توليه الحكام ومرتبه الكنداكه الوظيفية في مملكة مروى. ومن الم الكتاب الكلاسيك استرابو وديورورس الذي يجعل للكهنة مكانة عالية في دولة مروى فيقول «اذا ضاقوا ذرعا بملوكهم يأمرونهم بأن ينتحروا على اساس ان هذا الامر صادر من الاله[٣]» ووصف استرابو المواد الغذائية في المملكة المروية واشار على ان منازلهم في المدن قد بنيت من الحجارة وفروع الاشجار. وكانوا يصطادون الحيوانات المفترسة مثل الفيلة والاسود. ولقد ورد اسم السودان القديم في الكتاب المقدس الذي ذكر الملك ترهاقا والكنداكه احدى ملكات مروى.

اتسمت الكتابات الكلاسيكية بالوضوح واظهر كتابها السودان القديم (عندهم اثيوبيا) امام مجتمعاتهم المتحضرة في ذلك العصر ورغم المبالغة والتعميم الا انها تثبت قدرا من الحقيقة، ولكن معظمهم اخذ معلوماته عن السجلات الرسمية في مصر او المصادر المتناقلة شفاهة وقلما نجد منهم من زار السودان لذلك نعتبر اشاراتهم رغم اهميتها ثانوية صورت كثيرا من العصور الخرافية مدونة اراء من كتبوها والتي قد تخالف الواقع المألوف احيانا.

٣ - المخلفات الاثرية:

أ - المدافن: وجدت فكرة المدافن تقديرا واحتراما عظيمين عند الانسان القديم وهي تعكس لنا كثيرا من مظاهر حياته اليومية خاصة وان قدماء السودانيين منذ عهود دويلة كرمه كانوا يعتقدون في فكرة البعث ويظنون انهم سيحيون حياتهم الاولى مرة اخرى لذلك اصطحبوا معهم الى مدافنهم اوانيهم والاتهم الحربية وحيواناتهم واحيانا جزءا من رعيتهم. لذلك فإن المدافن تعد مرآة صادقة تعكس الحياة الاجتماعية والاقتصادية لتلك الشعوب. وتتجلى فيها قوتهم الادارية وقيمتهم السياسية. ولقد تطورت المدافن السودانية من حفر مستديرة حتى بلغوا الاهرامات السامقة كاهرام ترهاقا في نورى واهانا شحتى في البجراويه.

ب - المعابد: وتعتبر المعابد مصدرا ثرا من مصادر تاريخ السودان القديم فقد اودعها القدماء اعز واغلى ما يملكون من فنون وتماثيل ونقشوا على جدرانها واعمدتها الرسومات والكتابات الوطنية المختلفة وحفظوا في كثير منها مسلات تتوجهم. وتكشف لنا الحياة الوثنية ونوع الاله المعبود كمعبد آمون في الكوة ومعبد الاسد في الصورات الذي بني على نمط الفن المعماري المروي الاصيل للاله الوطني ابا دماك حامي دولة مروى.

ان دراسة مواقع المدافن والمعابد ومظهر بنائها يساعد كثيراً في تحديد التسلسل الزمني للملوك المدفونين بها او الذين بنوها لان الملوك الاوائل غالبا ما يحتلون المواقع الجيدة لانفسهم.

جـ - المساكن والمدن، مهمة في معرفة التكوين الاجتماعي والتوزيع السكاني وهي نادرة. من احدثها في الجزء الجنوبي مدينة مروى القديمة وقصر ابريم في اقصى الشمال. واهمية المساكن في قرى ومدن ومعسكرات وقتية ومستديمة، تكمن في تحديد فترات تطور المنطقة المأهولة وعمرها وهجرها والعودة اليها ان حدث شيء من ذلك. وتمد الباحث بالاحوال المعيشية، ففي مروى القديمة كانت الاغنام مهمة في الطور الاول في نمو المدينة ولكن كثر استعمال البقر كما توضحه بقايا العظام ولعل ذلك مرتبط بالتطورات الاقتصادية التي حدثت في ارض البطانة بعد اقامة الحفائر الكبرى الخازنة لماء المطر. وعثر على اماكن صهر الحديد حول المنطقة السكنية في مروى القديمة. وذلك طور صناعي مهم احدث كثيرا من التحولات الاجتماعية والاقتصادية في مملكة مروى.

د - وتعتبر الاواني الفخارية والمصنوعات الوطنية مصدرا مهما لتطور الصناعة في السودان القديم ومنه يستخلص المرء ما احدثته الصناعات والالات المستجلبة من تحولات اجتماعية واقتصادية اعني تلك التحولات التي صحبت صناعة الحديد ودخول الساقية في السودان وادوات الزينة التي استخدمتها العائلة المالكة وينعكس فيها تذوقهم للصناعات المستجلبة من الدول المجاورة(٤).

والدراسات الاثرية في جملتها تستكشف اصول كثير من مقومات الحضارة السودانية وميراثها القومي الذي لا تستغني عنه الاجيال الحاضرة وتعكس مدى تأثر حضارتنا بالحضارات الاخرى وتأثيرها فيها مرتكزة على اسس علمية وقواعد ثابته بعيدة عن التخيلات والتمييز الاقليمي. وللدكتور احمد الحاكم(٥) جهود طيبة في ابراز مقومات الحضارة السودانية الاصيلة ويذهب ابعد من ذلك فيرى ان هناك اثرا سودانيا في الفن المصري القديم وخاصة فن التماثيل المنحوتة.

ويجب ان ننبه على ان الدراسة الاثرية وحدها ليست بكافية لانها تمدّ الباحث بمعلومات تفصيلية عن اجيال ومجتمعات ولا تعكس نشاط الافراد وانجازاتهم ودورهم في المجتمع ولا تستكشف بجلاء دور الملوك وانجازاتهم السياسية في كل جوانبه.

٤ - اللغات القديمة:

ان اللغة مظهر ثقافي يعكس درجة رفيعة من التطور الحضاري وهي في الغالب ناتجة لعدة عوامل حضارية لذلك فإنا نرجو منها الكثير لمعرفة اسرار الحضارة السودانية القديمة. عرف السودان القديم الكتابة عن الحضارة المصرية. وكان ملوك السودان يدونون مراسيمهم الدينية ومحافل تتويجهم في مقابر وجدران المعابد والواح ومسلات مسجلين تحركاتهم الحربية وانجازاتهم السياسية والادارية مدونة باللغة المصرية القديمة حتى ظهرت اللغة المروية مؤخرا نحو منتصف القرن الميلادي الثالث وهي اللغة الرسمية لحكام مروى، رسمت اولا على الحروف المصرية ثم صارت لها احرفها الخاصة بها وبظهورها توحدت لغة المخاطبة والمكاتبة(٦) وتعد تطورا جديدا في الرقي الحضاري والثقافي وانجازا راقيا اسهمت به مروى في الحضارة الانسانية. ولقد ترعرعت اللغة المروية في ارض البطانة وعمت بقية اجزاء الدولة المروية حتى بلغت النوبة السفلى، وازدهرت تحت البشتى (Pashate) حكام تلك المنطقة حيث استخدموها في كتاباتهم على جدران المعابد وشواهد القبور في كرانوك وابريم وصادنقا. ويحاول الدكتور



معبد من شمال السودان

براين جورج هيكوك[٧] تطويع الدراسات اللغوية لاستخلاص الناحية الادارية والعلاقات الاجتماعية. واشجار النسب - وللدكتور عبد القادر محمود[٨] محاولات جزئية في تحليل مشتقات اللغة المروية واستكشاف علاقاتها باللغات القديمة الاخرى لفكها ومعرفة ما غاب عن معاينتها وقواعدها. والامل معقود على معرفة اللغة المروية والاستفادة من محتوياتها في دراسة التاريخ.

واعقب زوال الدولة المروية في القرن الرابع الميلادي سيادة اللغة النبطية والاغريقية كفن تدوين حتى ظهرت اللغة النوبية القديمة واستمرتا جنبا الى جنب مع اللغة النوبية القديمة حتى نحو منتصف القرن الثالث عشر الميلادي ويرجى منها الكثير في معرفة تاريخ تلك الفترة وخاصة التطورات الدينية وعلاقة الكنيسة بالحكام. وعلاقة الكنيسة السودانية بالكنائس الاخرى في مصر والقسطنطينية.

واللغة النوبية القديمة هي لغة وطنية اصيلة غير اللغة المروية ولا يعرف حتى الآن علاقتهما بالتحديد ولقد رسمت على الاحرف الاغريقية. وتدل على تسرب بواكير الدعوة النصرانية في السودان . وتدون الحياة الاجتماعية والاقتصادية واحيانا تنصرف الى قضايا الارض وتملكها. والامل معقود على دراسة اللغة النوبية القديمة بصورة مستوفاة ومقارنتها مع اللغات المتشابهة لها مثل لغة البرقو والميدوب في دارفور والنوبا في كردفان والنوبة في شمال السودان. لان ذلك في نظري مفتاح مهم لمعرفة موطن الشعب النوبي الحقيقي ومصدر هجرته شرقا وغربا وعلاقات وادي النيل الثقافية بغرب السودان.

نسبة لان طلاسم اللغة المروية لم تفك بعد ولا تزال كثير من معانيها مستترة، وتحتاج اللغة النوبية القديمة الى جهد اوفر لفهمها ولان مصادر اللغة تركز على القيم الروحية من بلاط وكهنة وحوادث ذات صيغة رسمية دون ان تذكر جانب الرعية واحوال معيشتهم لذلك فإن المصدر اللغوي يعد ناقصا غير مستكمل الجوانب ومن ثم يحسن اخذها بشيء من الحذر اللهم الا ما اكدته المصادر الاخرى. ■

هوامش

(١) P.Shirnie: Meroe-The civilization of the Sudan.

(٢) J.Desanges: BIFAOL XVI, 89-104

(٣) شرقي الجمل ١٨١.

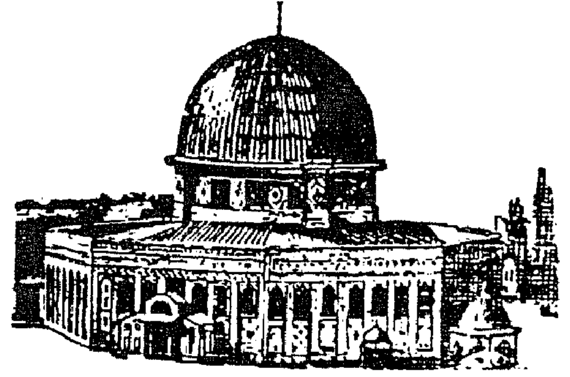
(٤) متحف السودان القومي - الخرطوم.

(٥) رئيس شعبة الاثار جامعة الخرطوم.

(٦) Reflections on the administration of Lower Nubia in the Meroitic times.

(٧) استاذ التاريخ القديم بجامعة الخرطوم.

(٨) استاذ اللغة المروية في جامعة الخرطوم.



المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام
«فلسطين» ١٩ - ٢٤ نيسان ١٩٨٠

الحركة الوطنية الفلسطينية والرايخ الثالث
١٩٣٣ - ١٩٤٥

الحلقة الثانية

د. علي محافظة - الجامعة الاردنية - عمان

تقديراً من مجلة «تاريخ العرب والعالم» للمؤتمر الثالث لتاريخ الشام الذي عقد مؤخراً في عمان ما بين ١٩-٢٤ نيسان ١٩٨٠ الموافق ٤-٩ جمادي الثانية ١٤٠٠هـ. اعد «مركز التوثيق والابحاث» في مجلة «تاريخ العرب والعالم» صورة ملخصة عن بعض البحوث التي قرئت في المؤتمر وكانت على جانب كبير من الاهمية والاثارة. على ان تنشر متتالية في المجلة والاولوية حسب اسبقية موافقة الكاتب.

وفي هذا المجال تود ان تؤكد أنها تقدر جميع البحوث المقدمة الى المؤتمر، كما انها تقدر الجهود الكبيرة التي بذلتها جامعة عمان وجميع الجهات الرسمية وغير الرسمية التي عملت في سبيل انجاح هذا المؤتمر ونتمنى ان تستمر الجهود في جميع انحاء الوطن العربى لدرس تاريخ العرب دراسة متعمقة مكثفة تضمن للعرب رؤية أوضح لتاريخهم وثقة أكبر بأن هذا التاريخ يكون ركيزة أصيلة لانطلاقهم في مجال بناء تاريخهم الحديث بناء سليما ثابت البنيان.

كما نود أن نشكر جميع الباحثين والمؤرخين الذين أبدوا موافقتهم مشكورين على نشر أبحاثهم او ملخصا عنها في مجلة «تاريخ العرب والعالم».

مع بداية الحرب العالمية الثانية انتقلت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية الى العراق وقويت شوكة المفتي الحاج امين الحسيني الذي حاول تمتين العلاقات العربية مع المانيا، بخاصة بعد سفره اليها واجتماعه بهتلر. في هذه الحلقة تسجيل وتحليل لهذه الفترة من العلاقات الفلسطينية - الالمانية.

وأصبح المفتي الآن صديقاً حميماً لهذا الفريق من السياسيين العراقيين الذي يضم رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي وناجي شوكت من رؤساء الوزارات السابقين، وموسى الشهبندر ويونس السبعاوي ومحمود الشيخ علي وكبار ضباط الجيش وبخاصة العقداء الاربعة صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وكامل شبيب وفهمي سعيد (الذين كان يطلق عليهم المربع الذهبي). وتوثقت صلات المفتي بقيادة الجيش العراقي مَن اصبحوا مركز الثقل في السياسة العراقية فتدخلوا لدى الوصي على العرش الامير عبد الاله في تشكيل الوزارات واختيار الوزراء.

وأنقسم السياسيون العراقيون في هذه الفترة إلى فريقين: فريق يرى ان مصلحة العراق هي في التعاون مع بريطانيا والدول الحليفة ويمثله نوري السعيد وجميل المدفعي وتوفيق السويدي وغيرهم وفريق آخر يرى رأي المفتي الذي اشرنا إليه سابقاً. وتمكن المفتي من تشكيل «لجنة للتعاون بين البلاد العربية» في صيف عام ١٩٤٠ ضمت رشيد عالي الكيلاني وناجي السويدي وناجي شوكت ويونس السبعاوي والعقداء الاربعة (المربع الذهبي) والعقيد اسماعيل حقي في العراق، وشكري القوتلي وعادل ارسلان وزكي الخطيب من سورية، ويوسف ياسين وخالد الهود من العربية السعودية.

وكان لانهيار فرنسا امام الزحف الالماني اثر كبير على المفتي والزعماء العراقيين المتعاونين معه، إذ ازدادت ثقتهم بأمكانية انتصار المانيا في الحرب الدائرة، ورأوا ان الوقت قد حان للتفاوض معها حول مستقبل البلاد العربية. وانطلاقاً من هذه القناعة حمل ناجي شوكت، وزير العدلية العراقي الذي اوفد مع نوري السعيد، وزير الخارجية، في ٢٤ حزيران ١٩٤٠ إلى انقرة للتفاوض مع الحكومة التركية حول الموقف الواجب اتخاذه في الصراع الدولي القائم، بأعتبار ان العراق وتركيا عضوان في حلف سعد اباد (١٩٣٧)، رسالة من المفتي امين الحسيني إلى السفير الالماني في استانبول فون بابن (Von Papen). وتتضمن الرسالة تهنئة الزعيم الالماني هتلر بالانتصارات التي احرزها في الميادين الاوروبية، ورجاء بالتفاوض مع ناجي شوكت حول المسألة العربية ومستقبل فلسطين والتعاون بين المانيا والعرب عن طريق ابرام معاهدة صداقة وتعاون بين الطرفين. وقابل ناجي شوكت السفير الالماني في ٥ تموز ١٩٤٠ بحضور قنصل المانيا العام في تركيا الهر زايلر (Seiler). واقترح ناجي شوكت ان يستمر التفاوض بين العرب والالمان عن طريق وزير العراق المفوض في انقرة كامل الكيلاني، شقيق رشيد عالي، رئيس الوزراء آنذاك، والدكتور فريتس غروبا وزير المانيا المفوض في بغداد. واكتفى فون بابن بالاعراب عن استعداده لنقل وجهة النظر العربية إلى الجهات المعنية في المانيا.

كان لقاء ناجي شوكت بفون بابن بداية لمفاوضات سرية طويلة بين المفتي والزعماء العراقيين الملتفين حوله من جهة وبين المسؤولين الالمان من جهة ثانية. فبعد عودة شوكت إلى بغداد بشهر واحد. أوفد المفتي سكرتيره الخاص عثمان كمال حداد إلى برلين يحمل المطالب العربية ومشروع بيان رسمي حول سياسة دول المحور نحو البلاد العربية. اجرى حداد مباحثات في وزارة الخارجية الالمانية مع غروبا الذي عاد إلى برلين بعد قطع العراق علاقاته الدبلوماسية مع المانيا في ١٩٣٩/٩/٥، وميلشرز (Milchers) مدير القسم الشرقي في وزارة الخارجية، وسكرتير الدولة فون فايتسزيكر. اما المطالب العربية التي تقدم بها عثمان حداد فيتضمنها مشروع التصريح الرسمي المطلوب من دول المحور اصداره والذي



المناضل امين الحسيني

يشمل النقاط التالية:

١ – اعتراف المانيا وايطاليا بالاستقلال التام للبلاد العربية المستقلة الآن، وبالاستقلال التام للبلاد العربية التي هي تحت الانتداب الفرنسي (سورية ولبنان)، والتي تحت الانتداب البريطاني (فلسطين وشرق الاردن). والتي هي مستعمرات او محميات بريطانية (الكويت وعمان ومسقط وحضرموت).

٢ – اعلان المانيا وايطاليا ان ليست لهما اية مطامع استعمارية في مصر والسودان، والاعتراف باستقلالهما التام، واعتبار التحفظات التي وضعتها انكلترا على هذين البلدين لاغية من اساسها.

٣ – تعهد المانيا وايطاليا بعدم اللجوء إلى اي من الاساليب ضد استقلال البلاد العربية التام، كأسلوب الانتداب الذي اخترعته عصبة الامم بصورة احتيالية بالاتفاق مع الديمقراطيات لاخفاء شهواتها الاستعمارية.

٤ – اعتراف المانيا وايطاليا للبلاد العربية بحق تأسيس وحدتها القومية حسب رغائبها وبالطريقة التي تراها موافقة، والتعهد بعدم وضع العراقيل في سبيل انشاء هذه الوحدة.

٥ – مطلب المانيا وايطاليا الوحيد ان تريا الامة العربية متمتعة بالازدهار والاقبال، وان تتبوّأ مكانها التاريخي والطبيعي تحت الشمس، وهذا لصالح الانسانية جمعاء، وفي سبيل تعاون اقتصادي على اساس تبادل المنافع، مقابل تعهد البلاد العربية باحترام الحالة الراهنة (Statu Quo) في فلسطين او سواها فيما يتعلق باملاك الكنائس والارساليات المسيحية وحرية تمتع المسيحيين، على اختلاف مذاهبهم، باقامة طقوسهم الدينية ورعاية المنشآت الخيرية (المستشفيات ودور الايتام ومآوي العميان) وحرية الاعتقاد في المسائل الدينية.

٦ – تعتبر المانيا الوطن القومي اليهودي كياناً غير مشروع وتعترف بحق العرب في حل هذه المسألة وفقاً للمصالح القومية العربية.

ويلاحظ ان المطالب العربية التي حملها حداد قد اقتصرت على اقطار المشرق العربي واهملت المغرب العربي اهمالاً تاماً. وبذلك لم يخرج القادة القوميون العرب في المشرق في مطالبهم بالاستقلال والوحدة عن الاطار الذي وضعه اسلافهم من الرعيل الاول في فترة الحرب العالمية الاولى، اللهم إذا استثنينا ما ورد بشأن استقلال مصر والسودان. وكانت هذه المطالب الحد الاعلى لما طالب به هذا الفريق من القوميين العرب من دول المحور خلال الحرب العالمية الثانية.

درس المسؤولون الالمان هذه المطالب دراسة وافية وابلغوا عثمان حداد انه من المتعذر عليهم تلبيتها كاملة بسبب تعقيدات الوضع الدولي آنذاك. فقد كانت المانيا تعتقد آنذاك ان بالامكان التوصل إلى صلح مع بريطانيا لاقتسام مناطق النفوذ في اوروبا والعالم. كما انها كانت تخشى اثارة حكومة فيشي إذا ما أصدرت بياناً يتضمن استقلال

سورية ولبنان، وربما ادى هذا البيان إلى اضعاف موقف حكومة فيشي واتجاه الفرنسيين إلى لجنة فرنسا الحرة في لندن التي يتزعمها الجنرال ديجول. كما كان على المانيا ان تأخذ بعين الاعتبار الاطماع التوسعية لحليفتها ايطاليا في شرق البحر الابيض المتوسط. كل هذه الاعتبارات درسها المسؤولون الالمان في مباحثاتهم مع حداد. واخيراً اتفقوا معه على صيغة بيان رسمي يحقق بعض المطالب العربية، حولت إلى الحكومة الايطالية في ١٠ ايلول ١٩٤٠ لابداء رايها فيها. وجاء الرد الايطالي بعد شهر ونيف. وفي ١٨ تشرين الاول استقبل فون فاتيسزيكر عثمان حداد واطلعه على صيغة البيان الالماني الايطالي المنوي اذاعته. واهم ما جاء فيه: «ان المانيا وايطاليا تعترفان باستقلال البلاد العربية وتتابعان بعطف واهتمام ما يقوم به العرب من جهود في سبيل تحقيق استقلالهم». لم ترض صيغة البيان عثمان حداد فطلب تعديلها إلا ان سكرتير الدولة الالماني رفض ذلك، واكد له ان هذا البيان «مجرد بداية وخطوة اولى».

اذيع البيان في ٢٣ تشرين الاول ١٩٤٠ من اذاعتي برلين وروما. ولكنه لم ينشر في صحف البلدين إلا في ٥ كانون الاول ١٩٤٠. واحدث هذا البيان ردود فعل واسعة بين العرب، واثار تحفظات العديد من قادتهم. فقد بعثت اللجنة القومية العربية في بيروت مذكرة إلى الحكومة الالمانية في كانون الثاني ١٩٤١ بينت فيها ان مطلب العرب الاول هو قيام دولة عربية متحدة في آسيا يتلوها الاتحاد مع مصر، وان العرب يتوقعون دعم المانيا لاهدافهم.

حمل عثمان حداد معه رسالة من وزير الخارجية الالماني فون ريبنتروب (Von Ribbentrop) إلى المفتي حذّره فيها من مغبة نزاع مسلح بين العراق وبريطانيا، واكد في الوقت نفسه استعداد المانيا لمساندة العراق في حالة هجوم بريطانيا عليه.

وبينما كان موفد المفتي يجري مباحثاته مع المسؤولين الالمان والايطاليين كانت تطورات الوضع الدولي تشير إلى ضرورة اتخاذ موقف واضح في العراق. ورأى المفتي والمقربون منه ان



فون ريبنتروب

من مصلحة العراق خاصة والعرب عامة المحافظة على الحياد التام في النزاع الدولي القائم للاسباب التالية:

- عدم استقرار العلاقات بين المانيا والاتحاد السوفياتي.
- ضعف البلاد العربية عسكرياً بحيث لا تستطيع الصمود في وجه اي هجوم من جانب المحور او من جانب الحلفاء.
- لا تكفي التصريحات الرسمية من جانب المحور او من جانب الحلفاء لتقرير مصير العرب.
- الحرب فرصة ثمينة لا بد من انتهازها لاخذ اكبر قسط من الحقوق للامة العربية.

وعقد اقطاب الحركة العربية في بغداد اجتماعاً بحضور المفتي في نهاية عام ١٩٤٠. وتدارسوا الوضع العربي العام، ورأوا ان الهدف الاول لحركة العرب القومية هو تحرير الوطن العربي من الاستعمار بمختلف اشكاله، وتوحيد كافة الاقطار العربية، واقامة نظم سياسية واقتصادية واجتماعية جديدة تضمن العدالة والحرية وتستهدف رفع مستوى الشعب وزيادة رفاهه المادي والمعنوي بحيث يصبح قادراً على المساهمة في الحضارة الانسانية. واستقر الرأي على ضرورة قيام حزب عربي قومي يتولى مهمة تحقيق هذا الهدف.

وسعياً إلى تشكيل الحزب المذكور عقد اجتماع في منزل امين الحسيني في بغداد في ٢٨ شباط ١٩٤١ حضره امين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني وناجي شوكت والعقيد صلاح الدين الصباغ والعقيد فهمي سعيد والعقيد محمود سلمان ويونس السبعاوي. وتقرر في هذا



رشيد عالي الكيلاني.

الاجتماع اناطة زعامة الحزب القومي العربي بأمين الحسيني. واجمع الحضور على ضرورة الحفاظ على الوضع الراهن في العراق مع التمسك بالمعاهدة العراقية البريطانية، والتحلي بالروية والتبصر في الامور، ومحاولة اقناع طه الهاشمي، رئيس الوزراء آنذاك، بضرورة العدول عن فكرة قطع العلاقات الدبلوماسية مع ايطاليا والانتظار ريثما ينجلي الموقف الدولي، والمطالبة بحل المجلس النيابي وانتخاب مجلس جديد يمثل الشعب العراقي تمثيلاً صادقاً، واخراج نوري السعيد وعلي جودت وجميل المدفعي من البلاد وذلك بتعيينهم سفراء في الخارج، وتعديل الدستور العراقي بصورة تحول دون قيام الوصي بنشاط مخالف للدستور، والاطاحة بطه الهاشمي في حالة رفضه مخططهم وتشكيل حكومة برئاسة عالي. واخذت هذه القيادة او اللجنة تجتمع باستمرار وبصورة سرية طوال احداث العراق التي تلت هذا الاجتماع حتى تم القضاء على حركة رشيد عالي الكيلاني في ٢٩ أيار ١٩٤١.

رأى المفتي ان لا بد من استئناف التفاوض مع دول المحور وبخاصة مع المانيا. فأوفد سكرتيره عثمان حداد مرة اخرى إلى برلين حاملاً رسالة منه إلى ادولف هتلر ومؤرخة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤١. وصل حداد إلى برلين في ١٢ شباط وقدم رسالة المفتي إلى المسؤولين في وزارة الخارجية الالمانية. تتضمن الرسالة تذكيراً بمطالب العرب القومية وتأكيداً لعداء العرب لبريطانيا وتعاطفهم مع دول المحور واستعدادهم للنهوض في وجه العدو المشترك (الانجليز واليهود) حينما يتحررون من بعض العوائق المادية. كما تتضمن ايضاحاً حول تفويض عثمان حداد بالتباحث مع الحكومة الالمانية بأسم اقوى واوسع منظمة سياسية في العالم العربي وباسمه شخصياً بصفته المفتي الاكبر لفلسطين. وحمل سكرتير المفتي بالاضافة إلى هذه الرسالة، مشروع بيان رسمي من دولتي المحور بشأن مستقبل البلاد العربية، يختلف عن مشروع البيان الذي حمله سكرتير المفتي في رحلته الاولى إلى برلين.

وبعد لقاءات عدة مع عثمان حداد قررت وزارة الخارجية الالمانية الرد على رسالة المفتي برسالة من سكرتير الدولة فايتسزيكر تضمنت وعوداً غامضة بالاعتراف باستقلال البلاد العربية وبمساندة العرب عسكرياً إذا اضطروا إلى الحرب ضد الانكليز. فقد جاء في هذه الرسالة ما يلي:

«إن المانيا التي لم تحتل قط ارضاً عربية، لا تستهدف ان تستولي على اي جزء من البلاد العربية. وهي ترى ان الشعب العربي، وهو شعب ذو ثقافة قديمة وقد برهن على لياقته الادارية وفضائله العسكرية لجدير بأن يحكم بلاده بنفسه. ولهذا فان المانيا تعترف باستقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً. ويحق للبلاد العربية التي لم تستقل حتى الآن ان تنال استقلالها التام.

إن كلا من الامتين الالمانية والعربية متفقتان على الكفاح ضد عدوهما المشترك اي الانكليز واليهود. إن المانيا مستعدة للعمل المشترك معكم، ولمساعدتكم مساعدة عسكرية فعالة على قدر الاستطاعة، إذا اضطررتم إلى الحرب ضد الانكليز لتحقيق غاية شعبكم، وذلك بناء على صداقة المانيا وانجازاً للرغبة التي ابديتموها بواسطة سكرتيركم الخاص. ان المانيا مستعدة ايضاً لتسليم المواد الحربية فوراً لتقوية استعداد الامة العربية للحرب المحتملة ضد الانكليز متى امكن وجود طريق لنقل هذه المواد الحربية».

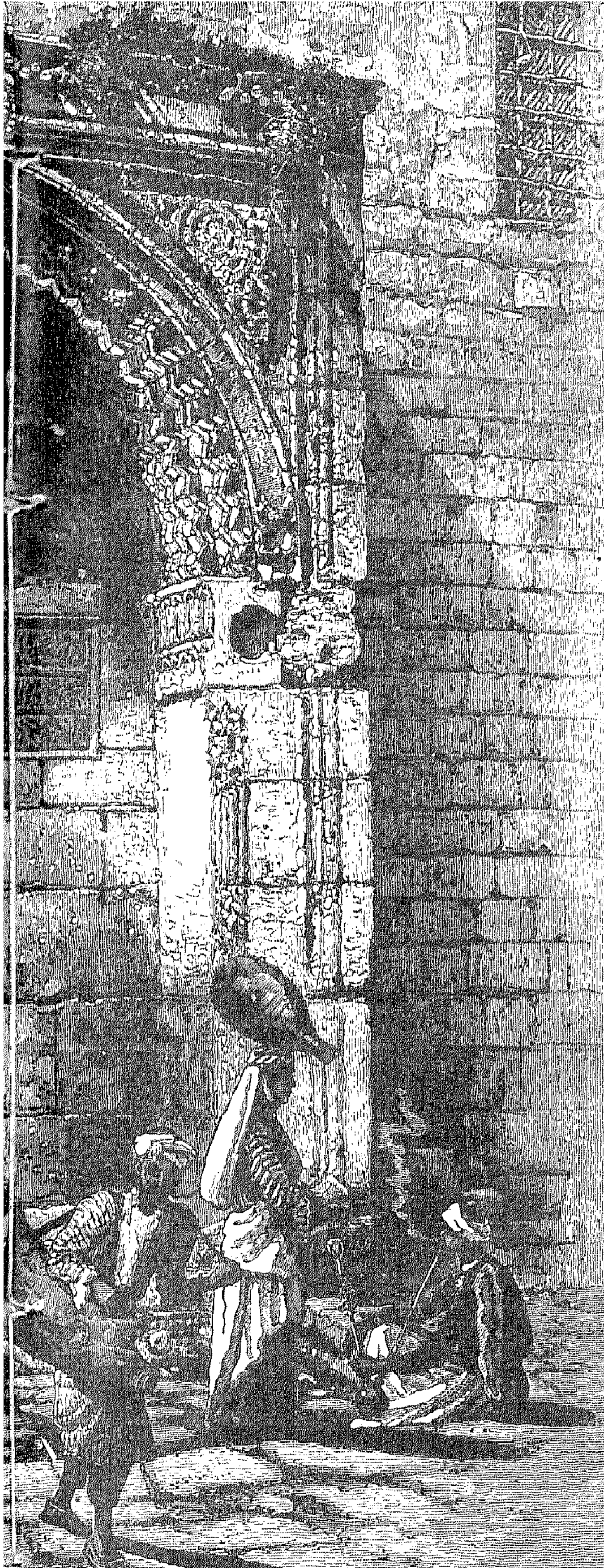
ويوصي فايتسزيكر المفتي بأعادة سكرتيره للتفاوض في التفصيلات المتعلقة بالعمل المشترك بين الطرفين او بأرسال مندوب آخر غيره. كما يرجوه ايضاً ان يبقي مضمون هذه الرسالة مكتوماً، ويبلغه ان الحكومة الايطالية قد اخذت علماً بهذا المضمون ووافقت عليه.

لعل اهم ما في الرد الالماني على رسالة المفتي ليس مضمونه وإنما التدابير التي اتخذتها الحكومة الالمانية في اعقابه. فقد وافق وزير الخارجية الالماني على دفع مئة الف مارك الماني ولمرة واحدة للحاج أمين الحسيني. ولم يوافق على دفع مبلغ عشرة آلاف جنيه استرليني شهرياً كما طالب عثمان حداد. كما شرعت وزارة الخارجية الالمانية بالاتصال بالمفتي باعتباره الشخص المعني بالقضايا العربية العامة. وفتحت منذئذ باب الاتصال بعبد العزيز بن سعود وبالحكومة العراقية والزعماء الوطنيين السوريين. واتجهت إلى تعزيز الدعاية الالمانية في البلاد العربية. فأزدادت فترة الارسال في اذاعة برلين العربية وزادت مدتها اليومية من ٩٥ دقيقة إلى ٢٠٥ دقائق. وصدرت طبعة عربية لصحيفة الجيش الالماني (الاشارة) (Signal). واصدرت اذاعة الرايخ (Reichsrund Funkgesellschaft) صحيفة «بريد الشرق» مرتين في الاسبوع والتي كانت توزع مجاناً. واصبحت الصحف العربية تتلقى بانتظام نشرات وكالتي الانباء الالمانية (Transozean) ومكتب الاخبار الالماني (D.N.B.) باللغة العربية. وتقرر توسيع نشاط الجاسوسية ومكافحة التجسس في كل من فلسطين وشرق الاردن ومصر.

فلماذا تغير موقف المانيا واقدمت على هذا النشاط بعد ان كانت قد اعتبرت منطقة شرق البحر الابيض المتوسط حتى هذا التاريخ منطقة نفوذ ايطالية؟ لا بد من العودة إلى استعراض تطور العمليات العسكرية في ساحات القتال لنعرف اسباب هذا التغير. فمن المعروف ان الهجوم الايطالي على مصر قد بدأ في ١٣ أيلول ١٩٤٠ دون احراز نتائج ملموسة. وفي ٩ كانون الاول ١٩٤٠ شن الجنرال ويفل (Wavell) قائد القوات البريطانية في الشرق الاوسط هجوماً على القوات الايطالية فردها على اعقابها وطاردها إلى خارج الحدود المصرية وتراجعت من السلوم إلى بردية. ومنيت القوات الايطالية بقيادة الجنرال غرازياني (Graziani) بهزيمة ماحقة. إذ استسلم ١٩ جنرالاً ومئة وثلاثين الف جندي ايطالي. واصبحت برقة بيد القوات البريطانية. اذهلت هذه الهزيمة هتلر. كما طلبت ايطاليا المعونة منه في كانون الاول ١٩٤٠ لنجدتها في اليونان. وفي ١٩ كانون الاول طلبت القيادة العامة الايطالية المعونة من المانيا لنجدة قواتها في ليبيا. فاضطرت المانيا إلى تقديم النجدة. وفي ٥ شباط ١٩٤١ اعلم موسوليني بأرسال فرقة مدرعة من الجيش الالماني «الفرقة الافريقية» (Afrika Korps) واختير الجنرال ارفين رومل (Erwin Rommel) قائداً لها. منذئذ اصبحت المانيا تهتم اهتماماً جدياً بمنطقة شرقي البحر المتوسط بعد ان كانت متروكة لايطاليا. واقتضى الوضع الجديد اعادة النظر في سياستها نحو العرب، ورأت ان لا بد من اتخاذ خطوات ايجابية في هذا الصدد.

رومل





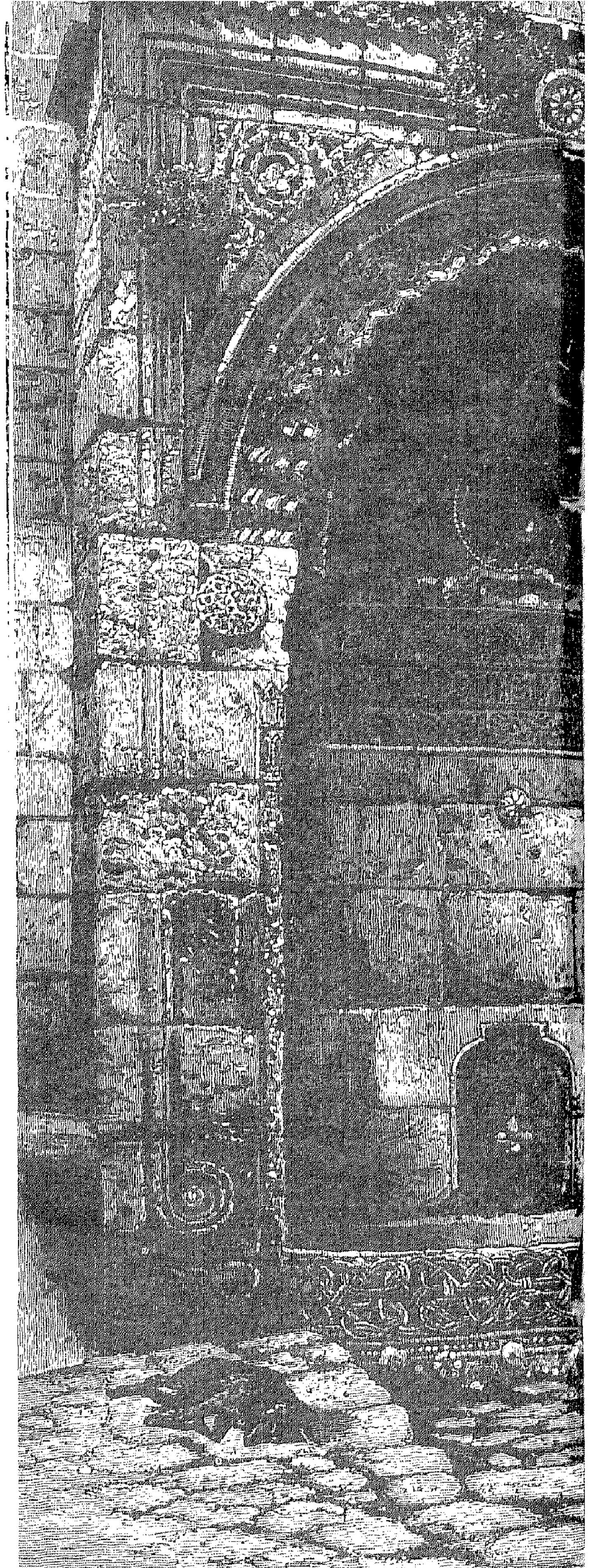
سبيل باب السلسلة في القدس

تطورت، في هذه الاثناء، الامور بسرعة في العراق. ففي الثاني من نيسان ١٩٤١، اكره قادة الجيش طه الهاشمي، رئيس الوزراء، على الاستقالة. وهرب الوصي الامير عبد الاله من بغداد إلى الحبانية فالبصرة فالقدس فعمان يرافقه عدد من انصاره من رؤساء الوزارات والوزراء العراقيين. وعهد الجيش إلى رشيد عالي بتألف حكومة الدفاع الوطني في اليوم نفسه. وكان لهذا الانقلاب العسكري رد فعل سريع في بريطانيا. إذ قررت الحكومة البريطانية برئاسة ونستون تشرشل (W. Churchill) القضاء على الحركة الجديدة بأسرع وقت ممكن. وانزلت قواتها في ميناء البصرة تمهيداً لذلك.

أما المفتي فقد كان حريصاً على تجنب الصدام مع القوات البريطانية وطلب من رشيد عالي ان يبدي تسامحاً مع الانكليز بشأن انزال قواتهم في البصرة. وكان المفتي يستشار في اتخاذ كافة القرارات المهمة. كما أخذ يسعى إلى كسب بعض الشخصيات السياسية في مصر للوقوف إلى جانب المحور. وتلقى معونات مالية من المانيا وايطاليا لهذا الغرض وللاعداد للثورة المقبلة في فلسطين وشرقي الاردن.

ولما تطورت احداث العراق إلى صدام بين القوات العربية والقوات البريطانية المرابطة في قاعدة الحبانية وفي ميناء البصرة رأى الحاج امين ان الفرصة مناسبة لاشعال نار الثورة في فلسطين. فطلب من غروبا، (الوزير المفوض الالماني السابق في بغداد الذي عاد إليها سراً بعد انقلاب رشيد عالي) في ١٧ أيار ١٩٤١ ارسال خمسين رشاشاً خفيفاً ومئة مسدس رشاش جديد مع ذخيرتها إلى دمشق لهذا الغرض. غير ان المانيا طلبت من المفتي ان لا يبدأ العمل الثوري الفلسطيني من دمشق، ارضاء لحكومة فيشي، فاستجاب المفتي لهذا الطلب. واثناء الحرب العراقية - البريطانية تشكلت قوة البادية، بقيادة فوزي القاوقجي، من المناضلين الفلسطينيين والسوريين في العراق لمساعدة القوات العراقية. وتولى امين الحسيني قيادة المقر الخلفي لهذه القوة.

قضت القوات البريطانية على حركة رشيد



عالي يوم ٣٠ أيار ١٩٤١، وهرب الحاج امين الحسيني مع قادة الحركة من بغداد إلى طهران. اما المناضلون الفلسطينيون والبالغ عددهم حوالي سبعين رجلاً فقد عبروا الحدود العراقية – السورية. وفي ٢٨ حزيران ١٩٤١ ابرق المفتي من طهران، عن طريق السفارة الالمانية هناك، يطلب من اسحق درويش احد الزعماء الفلسطينيين المقربين من المفتي، ان يسافر إلى صوفيا (بلغاريا)، وان يختار افضل العناصر من الضباط المناضلين لتدريبهم في المانيا. وتمكن المفتي من الوصول إلى روما بصورة سرية عن طريق السفارة الايطالية في طهران. اما بقية الزعماء الفلسطينيين فقد عبروا الحدود التركية واستقروا في استانبول.

نشاط أمين الحسيني في المانيا بين ١٩٤١ و ١٩٤٥:

انتقل الحاج امين الحسيني من روما إلى برلين في ٦ تشرين الثاني ١٩٤١ بعد ان اجرى مباحثات مع الدوتشي موسوليني (Mussolini)، رئيس وزراء ايطاليا، والكونت شيانو (Ciano)، وزير خارجيتها، حول اصدار بيان يؤيد المطالب العربية. واعد الايطاليون صيغة بيان ينص على مساندة دول المحور للاقطار العربية الواقعة تحت الهيمنة البريطانية في نضالها من اجل الحرية، وعلى استعداد دول المحور للاعتراف بالاستقلال التام للاقطار العربية في الشرق الادنى. وتنص الصيغة الايطالية للبيان على تأييد دول المحور للمساعي الرامية إلى القضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وعلى استعدادها لابرام معاهدة صداقة وتعاون مع الزعماء العرب على ان يتم التفاوض بشأنها في اقرب فرصة ممكنة، وعلى اعترافها بالدول العربية المستقلة. ويلاحظ ان الصيغة الايطالية للبيان المنوي اصداره عن دول المحور يؤكد على الاقطار العربية في الشرق الادنى، والمقصود بذلك سورية ولبنان وشرق الاردن والعراق ، كما سيتضح ذلك فيما بعد.

عند وصول المفتي إلى برلين استقبله فريتس غروبا، وأعد له مقابلة مع فون



موسوليني.

فايتسزيكر، سكرتير الدولة للشؤون الخارجية. ولما حاول المفتي ابداء تحفظاته على مشروع البيان الايطالي وبخاصة عدم اشارته إلى مساندة دول المحور للوحدة العربية واستقلال كافة اقطار المشرق العربي، لم يأخذ فايتسزيكر بهذه التحفظات وابدى تحفظاً من جانبه على المشروع الايطالي نفسه.

ولتعزيز المطالب التي تقدم بها المفتي إلى المسؤولين في وزارة الخارجية الالمانية افضى إلى مرافقه غروبا بمعلومات عن «حزب الامة العربية» الذي زعم بأنه رئيسه، وقال: «إن هذا الحزب امتداد لجمعية العربية الفتاة التي تأسست في باريس عام ١٩١١، والتي نقلت نشاطها إلى سورية عام ١٩١٥، والتي علق العديد من قادتها ومؤسسيها على اعواد المشانق التي نصبها لهم جمال باشا. وقد تغير اسم الحزب اثناء الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦، وكان يرئسه في بادىء الامر الملك فيصل الاول الذي كان يرى ان تحقيق الاهداف العربية لا يتم بالتعاون مع بريطانيا وإنما بالنضال وحده. وكان فيصل يرى ضرورة بناء الحزب من جديد وطرد بعض الاشخاص منه مثل نوري السعيد...» ويستطرد المفتي فيقول: «إن للحزب اعضاء في كافة الاقطار العربية، وتقوده لجنة ادارية واحدة تمثل هذه الاقطار. وكان الحزب ولجنته الادارية وراء الكفاح العربي في فلسطين والعراق». اما رئاسة الحزب فقد تولاها (المفتي) بعد موت الملك فيصل الاول. ولما انتقل المفتي إلى العراق ضم إلى الحزب ناجي شوكت ورشيد عالي الكيلاني كما كسب إليه قادة الجيش العراقي الذين كانوا حتى ذلك الوقت تحت تأثير نوري السعيد. ثم وجه نشاط الحزب نحو الشباب العراقي من خلال منظمتي الفتوة والجوالة. اما اسماء اللجنة الادارية التي ذكرها المفتي فهي: رشيد عالي وناجي شوكت ويونس السبعاوي وعبد الواحد السكر وعدد من شيوخ عشائر الشيعة من العراق، وعزة دروزة واسحق درويش وحسن ابو السعود ومحمد العفيفي وراسم الخالدي من فلسطين، والدكتور صبحي ابو غنيمة وحسين باشا الطراونة وسليمان السودي من شرق الاردن، ومحمد علي علوية وغيره من مصر، والامير عادل ارسلان وسامي الصلح من سورية، والشيخ يوسف ياسين والشيخ خالد الهود قرقان ورشيد السعداوي من السعودية، وعبد الله الوزير من اليمن.

لقد كان قصد المفتي من الادلاء بهذه المعلومات تعزيز موقفه لدى الالمان. واضفاء هالة من التقدير والاحترام على شخصه. فقد انكر فيما بعد قيام حزب الامة العربية، كما انكر ان يكون قد ادلى بمعلومات عن هذا الحزب للمسؤولين الالمان.

قابل ادولف هتلر المفتي بحضور فون ريبنتروب وغروبا في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤١. بدأ المفتي حديثه بالاشادة بالزعيم الالماني وبثقة البلاد العربية في انتصار المانيا. واكد ان العرب والالمان حلفاء طبيعيون لانهم يحاربون اعداء مشتركين هم بريطانيا واليهود والبلاشفة. وانهم على استعداد للتعاون مع المانيا، ليس بأثارة المتاعب في وجه بريطانيا أو القيام بأعمال التخريب وانما بتكوين فرق مسلحة تحارب إلى جانب قوات المحور واوضح المفتي للزعيم الالماني ان مطلب العرب الراهن هو استقلال ووحدة اقطار فلسطين وشرق الاردن وسورية

والعراق. ثم انتقل بعد ذلك إلى موضوع التصريح الالماني – الايطالي بشأن مستقبل البلاد العربية.

بدأ هتلر حديثه بالتنديد باليهود الذين اعتبرهم المهيمنين على الدول الحليفة والموجهين لسياستها. واكد ان هدفه تحطيم الشيوعية واليهودية واخراج الانكليز من الشرق الاوسط. وقال للمفتي: «ان كسبنا الحرب هو وحده الذي سيؤذن بدق ساعة التحرير التي هي ايضاً ساعة تحقيق اماني العرب». واعرب عن معارضة للتصريح المطلوب وقال: «إن مجرد وعد لن تكون له اية قيمة، ولن تكون ثمة قيمة حقيقية إلا لليقين الذي يعتمد على القوات المسلحة المنتصرة». وبرر هتلر هذا الموقف بالخشية من ردود فعل فرنسا. وقال ايضاً «يبدو ان الموقف كالآتي: اننا نشن حرباً ضارية لنفتح لانفسنا طريقاً إلى شمال القفقاس. ان الصعاب المرتبطة بهذا تزيد على صعاب النقل المترتبة على تدمير السكك الحديدية والطرق وعلى ظروف الشتاء. فإذا ما جرؤت في ظل هذا الموقف على اصدار تصريح ينطبق على سورية كذلك، فسيشتد ساعد العناصر التي تساند ديجول في فرنسا، مما قد يؤدي إلى نشوب الثورة. وسيقنع هؤلاء الناس ان من الاسهل ان ينضموا إلى بريطانيا العظمى. وسيكون انفصال سورية نموذجاً يحتذى في اجزاء اخرى من الامبراطورية الفرنسية – ومن شأن هذا ان يقوي موقف الديجوليين في المستعمرات. فإذا ما صدر تصريح الآن فستتلوه صعاب في غربي اوروبا بحيث يكون من الضروري سحب بعض القوات للدفاع، مما يحول بيننا وبين حشد كل قواتنا في الشرق».

واكد هتلر للمفتي ان الحرب التي تشنها المانيا ضد اليهود تستهدف القضاء على العنصر اليهودي في البلاد العربية. ووعده باصدار تصريح حول مستقبل البلاد العربية حين تصل القوات الالمانية إلى جنوبي القفقاس وهذا، في رأيه، يستلزم بضعة شهور فقط. وطمأن المفتي بأن الوقت سيحين حين لا يقتصر امره (المفتي) على ان يقدم للعرب تصريحاً من المحور، بل سيكون له الرأي الحاسم في الشؤون العربية بأعتباره ذا السلطةالمضطلعة في التحدث باسم العرب وزعيماً لهم . وبعد هذه المقابلة تقرر ايقاف التصريح الذي اتفقت على صيغته وزارتا الخارجية الالمانية والايطالية.

لم يثن موقف هتلر الحاج امين عن الاستمرار في المطالبة باصدار التصريح المطلوب، ولو جاء في صيغة رسالة سرية صادرة عن الحكومة الالمانية. وهدد المسؤولين الالمان بالحصول على مثل هذه الرسالة من الحكومة الايطالية. وكانت ايطاليا آنذاك على استعداد لاصدار التصريح المطلوب خوفاً من انحياز الزعماء العرب كلياً إلى المانيا. كما اخذ اليابانيون، في مطلع عام ١٩٤٢، يميلون إلى اصدار ذلك التصريح مع اقتراب قواتهم من بحر العرب (المحيط الهندي).

وابدى الالمان مزيداً من الاهتمام بالقضية العربية. فشكلوا لجنة في وزارة الخارجية لمتابعتها برئاسة الوزير المفوض الدكتور فريتس غروبا وعضوية القنصل العام كاب (Kapp)، ومستشار المفوضية الدكتور ميلشرز (Melohers) من الدائرة السياسية السابعة ، والمستشار الدكتور غرانوف (Granow)، وسكرتير المفوضية كاسبار (Kasper)، والهر مونسيل (Munzel) والهر شتيفن (Steffen). ومهمة هذه اللجنة وضع الترتيبات السياسية للزحف الالماني في المنطقة العربية وتنفيذ تعليمات وزارة الخارجية بعد احتلال الاقطار العربية.

واقترحت هذه اللجنة في ٧ شباط ١٩٤٢ ان تتشكل حكومة عراقية برئاسة رشيد عالي وحكومة سورية برئاسة المفتي او احد اعوانه بعد احتلال القوات الالمانية لتفليس وان تعترف الحكومة الالمانية بهما. وان يبدأ تنظيم الجيش العربي، حين دخول القوات الالمانية للبلاد العربية، من ثلاث فرق عراقية وفرقة سورية وفرقة فلسطينية – شرق اردنية. وان يقوم الجنرال فيلمي (Felmy) بارسال القوات العربية تحت امرته في اليونان لتساهم في تشكيل الجيش العربي، وان تتحول القيادة الخاصة (Sonder Stab F) التي يرئسها فيلمي إلى بعثة عسكرية المانية في البلاد العربية.


هتلر.

أما مقترحات اللجنة بشأن تنظيم البلاد العربية فهي:

١ - بقاء العراق والسعودية واليمن ومصر دولًا مستقلة.

٢ - توحيد سورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن في دولة سورية الكبرى.

٣ - قيام اتحاد فيدرالي بين العراق وسورية.

٤ - قيام رابطة تعاقدية بين كافة هذه الدول العربية.

٥ - الاطاحة بالحكم الهاشمي في العراق وشرق الاردن وضم معان والعقبة إلى العربية السعودية، رضم عمان وساحل الجزيرة وحضرموت والبحرين إليها ايضاً.

٦ - تعطى ايطاليا الاولوية السياسية في هذه الاقطار وتعطى المانيا الاولوية العسكرية. ولا يجوز لايطاليا ان تمارس اي نشاط سياسي في هذه الاقطار بدون موافقة المانيا.

٧ - تشارك اليابان في المسألة العربية بعد ان يتم الاتفاق معها على المسألة الهندية.

وتعاون المفتي ورشيد عالي الكيلاني الذي وصل إلى برلين في نهاية تشرين الثاني ١٩٤١، لاستصدار التصريح المطلوب من دول المحور. وسافر الزعيمان العربيان إلى روما في شباط ١٩٤٢. واستقبل ملك ايطاليا المفتي في ١٣ شباط كما استقبل رشيد عالي في اليوم التالي. ونجح الزعيمان العربيان في اقناع موسوليني وشيانو بضرورة اصدار التصريح المطلوب. واستمر نشاطهما حتى يوم ٢٥ نيسان ١٩٤٢ عندما تسلما مشروع تصريح من دول المحور بصيغة رسالة موقعة من وزير خارجية المانيا فون ريبنتروب، ووزير خارجية ايطاليا الكونت شيانو موجهة إلى كل من الزعيمين العربيين. وتم التبادل الرسمي لهاتين الرسالتين في ٢٨ نيسان ١٩٤٢.

جاء في رسالة فون ريبنتروب إلى المفتي ما يلي:

«إن الحكومة الالمانية تقدر كل التقدير ثقة الامة العربية في دول المحور واهدافها، واستعدادها للمشاركة في الكفاح ضد العدو المشترك حتى يتم النصر النهائي، كما انها تدرك تماماً ما اوضحتموه من الاهداف القومية للاقطار العربية في الشرق الادنى التي تقاسي الآلام تحت نير الاضطهاد البريطاني في الوقت الحاضر. ولذا فاني اتشرف بأن أؤكد لكم، باتفاق تام مع الحكومة الايطالية، ان استقلال وحرية البلاد العربية المضطهدة الآن تحت الحكم البريطاني، هما هدف من اهداف الحكومة الالمانية. وبناء على ذلك فإن المانيا مستعدة لتقديم كل ما تستطيعه من مساعدات للاقطار العربية في الشرق الادنى الرازحة الآن تحت نير الاضطهاد البريطاني، وان تعترف بسيادتها واستقلالها، وتوافق على وحدتها إذا كان مرغوباً فيها ممن يعنيهم الامر، وعلى القضاء على الوطن القومي اليهودي في فلسطين».

ويلاحظ ان الرسالة قد اقتصرت على دعم المحور للاقطار العربية الواقعة تحت نير الاضطهاد البريطاني. «في الشرق الادنى»، والمقصود بذلك العراق وشرق الاردن وفلسطين، وفي ذلك اغفال تام لسورية ولبنان وبقية اقطار المشرق العربي. كما اتفق على ان يبقى مضمون هذه الرسالة سراً مكتوماً، وبذلك فقد هذا التعهد من جانب دولتي المحور قيمته الاعلامية على الصعيد العربي. كما يلاحظ تراجع في موقف المفتي من موضوع الوحدة العربية والقبول بوحدة اقطار الهلال الخصيب في احاديثه مع المسؤولين الالمان والايطاليين. ففي مباحثاته مع الهر اتل (Ettel) السفير في وزارة الخارجية الالمانية، يؤكد المفتي ان «الهدف القريب الذي نسعى إليه هو قيام دولة عربية

تمتد من البحر الابيض المتوسط إلى الخليج وتضم سورية ولبنان وفلسطين وشرق الاردن والعراق والكويت»...

الخلاصة:

مرت العلاقات بين الحركة الوطنية العربية في فلسطين والرايخ الثالث بمراحل ثلاث:

- المرحلة الاولى: وتبتدىء بوصول الحزب النازي إلى الحكم عام ١٩٣٣ وتنتهي ببداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩.

- المرحلة الثانية: وتبتدىء باندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ وتنتهي بالقضاء على حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق في ايار ١٩٤١.

- المرحلة الثالثة: وتبدأ بوصول الحاج امين الحسيني إلى روما في تشرين الاول ١٩٤١، وتنتهي بنهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥.

تميزت المرحلة الاولى بأعجاب الحركة الوطنية الفلسطينية، كغيرها من الحركات الوطنية في المشرق العربي، بالنظام النازي وبتعاطفها مع المانيا. وسبب ذاك الاعجاب والتعاطف للانجازات الكبرى والسريعة التي حققتها المانيا في العهد الجديد على الصعيدين الداخلي والخارجي وبخاصة التخلص من القيود التي فرضتها عليها معاهدة فرساي عام ١٩١٩، بالاضافة إلى الكراهية الشديدة التي كان يكنها النازيون لليهود وتصميمهم على «تطهير» المانيا منهم. ورافق ذاك الاعجاب والتعاطف جهل تام بحقيقة السياسة الالمانية نحو اليهود، وبخاصة اتفاقية هعفارا التي ابرمتها السلطات الالمانية مع الوكالة اليهودية في فلسطين، والاخطار التي ترتبت على هذه الاتفاقية.

ورافق جهل عرب فلسطين بحقائق السياسة الالمانية جهل مماثل من الجانب الالماني بحقائق القضية الفلسطينية سببه عدم اكتراث المانيا الجديدة بما كان يجري في فلسطين. إذ كان اهتمامها منصباً على مخططاتها التوسعية في اوروبا الوسطى والشرقية، وعلى السعي لكسب ود بريطانيا وسكوتها عن هذه المخططات. اما شاغلها الاول



مفتي فلسطين الاكبر.

فهو التخلص من الاقلية اليهودية في المانيا. ورغم مظاهر الود والتعاطف التي ابداها عرب فلسطين وقادتهم نحو المانيا ومساعيهم للحصول على تأييدها لنضالهم فقد كان اقصى ما بذلته المانيا من جهد رفض مقررات لجنة بيل (١٩٣٧) وبخاصة قيام دولة يهودية في فلسطين، انطلاقاً من اعتبارات داخلية المانية واعتبارات ايديولوجية بحتة، لا عطفاً على العرب وقضيتهم وامتنعت المانيا عن تقديم اي عون مادي او معنوي للثورة العربية في فلسطين بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٩، رغم المحاولات العربية المتكررة للحصول على هذا العون. وكان ذلك ممالأة منها لبريطانيا واعتقاداً منها بعدم جدوى التعاون مع العرب عامة.

أما المرحلة الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤١) فقد شهدت انتقال قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية إلى العراق. وجاء اندلاع الحرب العالمية الثانية بقناعات جديدة بقادة هذه الحركة. فقد اعتقدوا، مثل كثيرين من قادة الحركات الوطنية العربية، ان لا بد من طرح القضية العربية برمتها طرحاً جديداً. ذلك ان الحلفاء الانكليز والفرنسيين قد اخضعوا المشرق العربي لسياسة استعمارية غاشمة الهبت في نفوس العرب الحقد والثورة عليهم. وان هؤلاء الحلفاء هم الذين خلقوا المشكلة الفلسطينية عندما قدموا فلسطين «هبة سخية» لتكون وطناً قومياً لليهود، وسمحوا تحت حرابهم للهجرة اليهودية بأن تتدفق على البلاد ليحل اليهود محل اهلها العرب اصحابها الشرعيين. وتراءى للقادة العرب الفلسطينيين ان في العالم معسكرين: معسكر الاعداء من

مستعمرين وصهاينة من جهة ومعسكر المحور من جهة اخرى. ولما لم يكن لالمانيا وجود استعماري في أي بلد عربي، لذلك كان (من الطبيعي ان تكون عواطف العرب شعوباً ومسؤولين مع المانيا، انطلاقاً من القول المأثور «عدو عدوك صديقك»). وبعبارة اخرى لم تكن البلاد العربية، بما فيها فلسطين، بمنأى عن الصراع الدولي القائم. ولذلك لا بد من التعاون مع معسكر المحور والاستفادة من التناقضات الدولية. هذا التحليل السياسي الذي توصلت إليه القيادة الفلسطينية، وبخاصة امين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا، جعلتها تقلع نهائياً عن فكرة الكفاح القطري في فلسطين، والاتجاه إلى ربط القضية الفلسطينية بالقضية العربية العامة. ولم يكن السياسيون العراقيون والسوريون الذين التفوا حول المفتي في بغداد يختلفون في تحليلهم للاوضاع السياسية الدولية عن تحليله. ولعل هذه القناعات السياسية هي التي جعلت المفتي يتصرف في العراق وكأن البلد بلده والاهل اهله والقضية قضيته. وهي التي جعلت فريقاً من السياسيين العراقيين يرحبون به بينهم ويستشيرونه في كل صغيرة وكبيرة في شؤون العراق الداخلية، ويعتمدونه أميناً على اسرارهم، ولا يتورعون عن التضحية بمصالح العراق الوطنية من اجل الصالح القومي العربي العام. ولذلك لم يترددوا في الموافقة على الاتصال بالمانيا وايطاليا عن طريقه لطلب العون منهما، وان يوكلوا إليه مهمة التفاوض السري معهما.

أما المانيا فقد كانت ترى طوال هذه المرحلة ان المشرق العربي يقع في منطقة المجال الحيوي لحليفتها ايطاليا. وان لهذه الحليفة الاولوية في معالجة القضية العربية. لذلك تلكأت في اصدار التصريح الذي طلبه المفتي والزعماء العراقيون حول مستقبل البلاد العربية. كما انها خشيت ردود فعل حكومة فيشي تجاه اي وعد بشأن سورية ولبنان، وهي التي قطعت الوعود لها وابرمت اتفاقية الهدنة معها التي تنص على عدم المساس بالامبراطورية الفرنسية.

واتصفت المرحلة الثالثة من هذه العلاقات (١٩٤١ – ١٩٤٥) باستغلال المانيا لقادة الحركة العربية المتعاونين معها، لقد كانت الفلسفة النازية وراء العلاقات العربية – الالمانية بعامة والعلاقات الالمانية الفلسطينية بخاصة، فقد اعتقد الالمان بعجز العرب عن بناء دولة حديثة. كما شكوا في ولائهم السياسي، كما هو واضح في التقارير والمذكرات والمؤلفات التي نشرها قادة المانيا النازية بعد الحرب العالمية الثانية. وكان تصور النازيين لاقتسام العالم يفترض وقوع العرب تحت النفوذ الاوروبي الايطالي والفرنسي. ولا شك ان مقتضيات الحرب العالمية الثانية هي التي اكرهت المانيا على انتهاج سياسة مخالفة لفلسفتها السياسية النازية. واما المعاملة الحسنة التي لقيها الحاج امين فقد كانت استثناء وربما لاعتقاد هتلر باصوله الآرية على حد تعبيره. فقد صرح زعيم الرايخ الثالث بأن «شعر المفتي الاشقر وعينيه الزرقاوين يعطيان الانطباع بأنه شخص كان في اسلافه اكثر من آري... وان من المحتمل ان هذه الآرية قد امتزجت لديه بأحسن ما ورثه عن الرومان».

ومنذ تراجع القوات الالمانية على الجبهة السوفياتية وفي شمال افريقيا اخذت القضية العربية دوراً ثانوياً في حسابات المانيا الدولية. ومنذ منتصف عام ١٩٤٣ اصبح هم المانيا الاول الدفاع عن مواقعها في الجبهات الاوروبية، وغدا تحرير البلاد العربية بعيد المنال. وشعر الزعماء العرب المتعاونون مع الالمان بذلك، واخذوا يوجهون نقدهم علناً للسياسة الالمانية. ولم يعد للعمل الدعائي الذي كان يقوم به المكتب العربي في برلين والذي كان تحت اشراف المفتي، اية أهمية خلال عام ١٩٤٤. وشعر هتلر نفسه خلال الاشهر الاخيرة من الحرب بالاخطاء التي وقع فيها فاعرب عن أسفه لانه لم يستغل بشكل واف امكانيات حركات التحرر الوطني في المستعمرات الفرنسية وبخاصة في سورية وتونس. كما ابدى خيبة امله في التحالف مع موسوليني الذي لم يفد منه شيئاً في الشرقين الادنى والاوسط.



موسوليني

نشأت في صقلية... وقضى موسوليني على فرعها الايطالي

علي أدهم

● نشأت هذه الجمعية في جزيرة صقلية الجميلة الساحرة، ولما كملت عزيمة اصبحت من اعجب الجمعيات السرية التي عرفها التاريخ.

وهذه الجمعية بقوانينها ومجالس قضائها وشرطتها وجواسيسها وجامعي الضرائب لها واساليبها في معاقبة من يتصدى لمنافستها وخوف الاهالي منها لم تصبح مجرد دولة في داخل الدولة، وإنما اصبحت دولة فوق الدولة.



الحفاظ على الاسرار يقتضي بعض التضحيات.



ومع ذلك كان ينقص هذه الجمعية بعض مقومات الجمعية السرية، فلم يكن لها في غير المناطق المحلية الخالصة والظروف الاستثنائية رؤساء مختارون، ولم يكن لها علامات سرية او شارات يتعارف بها اعضاؤها، ولا حفلات تقام لاستقبال الاعضاء الجدد ولا قواعد متبعة لقبول الاعضاء وإلحاقهم بالجمعية، ومتى صحت عزيمة العضو على دخول الجمعية وكان له نصيب من الشجاعة والاقدام وحمل الاسلحة اللازمة فإنه يصبح عضواً عاملاً فيها بغير شرط ولا قيد، وإذا فقد هذه الصفات والمؤهلات طرد من الجمعية او قتل، وكان الرؤساء في هذه الجمعية يشقون طريقهم بالعنف والقوة ويفرضون انفسهم فرضاً، وفي توزيع الغنائم والاسلاب كان الجريء المقدام يفوز بالنصيب الاوفر.

وقد تكونت الجمعية في بادىء امرها من الحراس المسلحين الذين كان يتخذهم ملاك الارض لحماية انفسهم، وبسط نفوذهم، والمحافظة على املاكهم، وفي مطالع القرن التاسع عشر تبدد شمل جيش الاقطاعيين المكون من هؤلاء الحراس المسلحين، ولكن هؤلاء الحراس عاشوا بعد ذلك ومنهم نشأت هذه الجمعية، ولما التجأ بلاط نابولي إلى صقلية فراراً من جيش نابليون، امتلات الجزيرة بهذه العصابات، واتخذ الملك من بعض رجال هذه العصابات حرساً يدفع لهم من ماله الخاص، ويعتمد عليهم في المحافظة على الامن في الجزيرة، وقد تغلب رجال حرس الملك على غيرهم من لصوص الجزيرة ومجرميها، واحتكروا وحدهم اللصوصية والإجرام، وقويت شوكتهم وصار الناس ينظرون إليهم بعين الاعجاب والخوف، واصبح اعيان الجزيرة يدفعون لهم ضريبة الحماية وحفظ الامن، وظلت الجمعية نافذة الكلمة مرهوبة الجانب حتى شهر ايار (مايو) سنة ١٩٢٤، ففي احد ايام ذلك الشهر ورد الجزيرة السنيور موسوليني والقى في مدينة بالرمو خطبة من خطبه الحماسية الملتهبة وهدد فيها الجمعية بالحديد والنار.

وكان كل صقلي على وجه التقريب عضواً في الجمعية إما باشتراكه فيما تجمعه من السرقة والتهريب والقتل وحملات الشتائم وتشويه السمعة، وإما بدفع ضريبة الحماية للجمعية، ومما ساعد على نجاحها ان سكان صقلية استهدفوا طويلاً للظلم والطغيان، ولذلك نشأت عندهم تقاليد حماية الثائرين المتمردين وإخفاء حركاتهم وكتمان اخبارهم، وصار تحدي

الحكومة وعدم التعويل عليها في صيانة العدالة والمحافظة على القوانين والاعتماد على انفسهم في ذلك من الصفات الملازمة لهم، وكان الذي يخالف هذه التقاليد يصبح مضغة في الافواه ويفقد سمعته وجاهه ومكانته في المجتمع الصقلي، ويقاطعه الناس ويتجنبونه، ويحل به العقاب والاضطهاد، ويذوق الوان العذاب، وكان ضحايا جمعية المافيا يلتزمون الصمت والصبر على الهوان بغير تذمر ولا شكوى، وذلك نزولاً على حكم التقاليد من ناحية، ومن ناحية اخرى يأساً من العدالة وقدرة الحكومة على الانتصاف لهم، وكانوا يمتنعون عن تقديم الادلة والقرائن او يقدمون ادلة زائفة وقرائن مضللة، خشية بأس الجمعية واحتراماً للتقاليد، وإبقاء على السمعة الحسنة والشرف الرفيع!.

وكانت مؤامرة الصمت هذه توغر صدر الحكومة وتشل يدها وتقعد بها عن اداء واجبها، وكان الامر على ما فيه من هم ونكد للحكومة لا يخلو في بعض الاحيان من الفكاهة المسلية، فقد اتفق مرة ان سرق بغل احد المزارعين الصقليين، وعرضت الشرطة على الرجل عدداً من البغال المسروقة ليدل على بغله من بينها، ولكن خوف الرجل من انتقام الجمعية جعله يحلف ان بغله ليس من البغال المعروضة، وذلك بالرغم من ان البغل اظهر السرور حينما سمع صوت صاحبه، ولما اطلق الشرطة البغل في الليل بظاهر القرية اتجه البغل إلى منزل المزارع، وفرحت زوجة الرجل واولاده بعودة البغل إلى دارهم! ولكن المزارع رغم ذلك اصر على إنكاره، زاعماً ان البغل ليس بغله! والظاهر ان التجارب المرة التي مرت بهذا المزارع المسكين جعلته يصر على إنكاره هذا الاصرار الذي يثير الضحك، وعين الذئب الطائرة تعلم الناس الكثير من ضروب الحكمة! فقد كان هذا المزارع يعلم قصة مزارع آخر كان عائداً إلى قريته وهو يسوق امامه قطيعاً من الغنم، فلقيه اربعة رجال من اعضاء جمعية المافيا فاختطفوا شاة واشبعوا صوفها بزيت البرافين واشعلوا فيه النار، وبعد ان ارغموا الراعي



المرعوب المرتعد الفرائص على مشاهدة مصرع شاته ومصيرها القاسي مثلوا به تمثيلهم بالشاة، وكان الذين ينالهم اذى الجمعية وتحل بهم نقمتها فتنهب اموالهم وتسرق امتعتهم يجدون الالتجاء إلى الجمعية وكسب رضاها بالمال اهون عليهم واضمن لهم من الالتجاء إلى الحكومة، وقد آثرت فتاة كانت خادمة في منزل احد اعضاء الجمعية الانتحار على ان تفشي سر سيدها، وتذكر ما تعلمه عن حركاته المريبة وتعرض نفسها لانتقام الجمعية.

وقد حاول غاريبالدي بطل الاستقلال الايطالي المعروف ان يقضي على هذه الجمعية ولكنه اخفق في ذلك، ولم يكن نفوذ هذه الجمعية مقصوراً على القرى والريف، وإنما كان يشمل



غاريبالدي



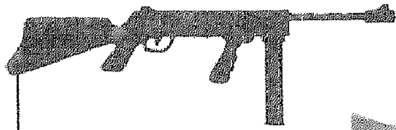
آل كابوني،
ألمع زعماء المافيا
بعد انتقالها إلى
الولايات المتحدة الاميركية.

كذلك المدن، فكان العضو في الجمعية يستطيع ان يجرد خنجره الصغير ويطعن به فريسته في إحدى الحدائق العامة ويختفي دون ان يتعرض له احد من الذين يتبخترون في الحديقة، او يقتفي اثره او يستنجد بالشرطة، ويدلهم عليه، وحتى لو رآه الشرطي بعينه وهو يباشر الاعتداء على فريسته فان الحاضرين يمتنعون عن اداء الشهادة، او ينكرون ما رأته عيونهم، وربما تطوع بعضهم ليشهد بأن الجاني كان في مكان بعيد عن مكان الحادثة او انه كان صديقاً للقتيل، وكان اغلب الذين يدانون وتثبت عليهم الجريمة ويقدمون للموت ليسوا هم القتلة الاصليين، وإنما هم افراد ارادت الجمعية ان تزيلهم من طريقها، وفي بعض الحالات الهامة كانت جمعية المافيا تهيىء وسيلة الهرب للمجرمين المحكوم عليهم بالاعدام، لكي تتولى هي بنفسها إعدامهم.

على ان الجمعية في معظم الحالات كانت تبالغ في الاحتياط حينما تحكم بالاعدام على أي إنسان، وكانت تختار لتنفيذ الحكم رجلاً لا تعلق به الشبهة، ولا تضع في يده السلاح إلا في اللحظة الاخيرة، فإذا طعن الطعنة المصمية او اطلق الرصاصة القاتلة امتدت الايدي الخفية إلى السلاح الذي يحمله وعملت على إخفائه، وباختفاء السلاح وتزوير الشهود يهون الامر، ويزول الخطر، ويحظى القاتل بالبراءة.

وقد اصبحت الجمعية في الجزيرة على ممر الايام تشبه من بعض الوجوه شركات التأمين، يقدم لها الناس قدراً من المال منجماً في مقابل حمايتهم من الجرائم على اختلاف انواعها، وكان الاغنياء والفقراء على السواء يؤدون هذه الضريبة، وكان الذي يؤدي الضريبة يظفر بالامن الذي لا تستطيع الحكومة ان تفيئه ظله، وإذا وقع عليه اي اعتداء لم تقره الجمعية فإنها تبادر في الحال إلى الانتقام له وإعادة الطمأنينة إليه. وإذا تأخر احد الناس عن تقديم القسط المطلوب منه في الميعاد المعهود فإنهم يذكرونه به بطريقة مقبولة، فاذا اصر على المماطلة تبدأ الجمعية في معاقبته بإغراق حديقته او بإتلاف كرومه او بإحراق داره، ويتبع ذلك في النهاية قتله الذي يتأخر قليلاً، ولكنه يكون امراً محتوماً وقضاء لا مردَّ له، وذلك كله يمكن تجنبه بدفع الاقساط في مواعيدها المعهودة بغير تردد ولا إبطاء، وكان تحري رجال جمعية المافيا الصدق في وعدهم وإيعادهم يجعل الناس يحتملونهم ويثقون بهم ويأمنون شرهم متى قدموا لهم الاتاوة المعلومة.

وبعد الحرب الكبرى الاولى ساءت أحوال الجمعية، وتطرق إليها الضعف، وشاع فيها الفساد، واصبحت اعمالها مطبوعة بطابع الطمع والجشع والخيانة والغدر، ومل الناس وجودها، وضاقوا بها ذرعاً، ولكنهم كانوا برغم ذلك





مجرمو المافيا المهاجرون

فرانك كاستيلو
البرت انستازيا
فيتو جينيفيزي



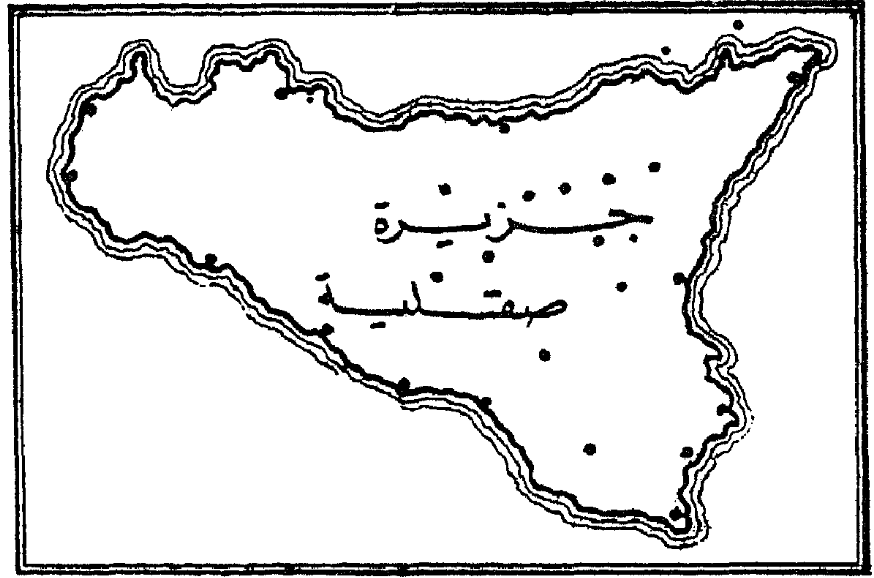


لا يزالون يخشون بأسها، ولا يجدون من القانون الحماية الكافية، ويعتقدون ان من العبث الاحتماء بالشرطة، واحتملوا الخطب صامتين، ولم يجدوا نفعاً في الالتجاء إلى رؤساء الجمعية كما كانوا يفعلون من قبل، ولكن ساعة انفراج الازمة وزوال الكرب كانت قد حانت، فالاختلال الذي طرأ على احوال الجمعية اتاح الفرصة لموسوليني للقضاء عليها، فبعد ان تسلم مقاليد الحكم في ايطاليا وفرض عليها نظامه الديكتاتوري واطمأن إلى مكانته نزل في ايار (مايو) سنة ١٩٢٤ بصقلية ووعد سكان صقلية باستتباب الامن واستقرار النظام لمصلحة الفاشيست.

واستدعى موسوليني شيزاري موري حاكم بالرمو، وكان قد اشتهر بقدرته على تناول مشكلة جمعية المافيا، فعقد موري العزم على مهاجمة الجمعية في امنع معاقلها ليقتنع اهل الجزيرة بأن الحكومة اقوى ساعداً واعظم صولة من الجمعية التي طال استبدادها بالامر في الجزيرة، ونجاح الحكومة الفاشية في هذه المحاولة يجعل سكان الجزيرة ينضمون إلى جانبها ويناصرونها في مهمتها ويساعدونها على توطيد الامن في الجزيرة، وفضلاً عن ذلك فانه يكشف عن جرائم اعضاء الجمعية المستورة، ويمكن الحكومة من إخضاعهم للقانون وإنزال العقوبة اللازمة بهم، وقد كان مصدر قوة الجمعية شيئان وهما خوف اهالي الجزيرة وتهاون الحكومة وإهمالها، ومتى نشطت الحكومة وطرحت التهاون والاهمال زال الخوف، وانحلت عقدة الالسنة، وامكن وضع حد لجرائم الجمعية.

وكان معقل الجمعية الحصين يقع في سلسلة الجبال الجميلة المتأبدة الممتدة بين مسينا وبالرمو، وكانت الجمعية مسيطرة سيطرة تامة على القرى الواقعة في سفوح هذه الجبال، وكانت الرحلة إليها شاقة تعترض السائر خلالها الاجراف الشاهقة والهاويات العميقة، ويعابيب الماء، ولا تأمن فيها اعتداء كمين او هجوماً مفاجئاً من الخلف. وكانت في وسط هذه المنطقة الوعرة قرية «جانجي» الواقعة فوق جبل بعيد منعزل، وكانت البيوت الواقعة على جانب الجبل تشرف على جزيرة صقلية برمتها، ومعظمها يمكن الدخول إليه من طريق اعلى ومن طريق آخر اسفل، ولها بابان باب من ناحية سقفها وباب آخر من الطبقة السفلى من البيت، والكثير من هذه البيوت كان يربط بعضها ببعض ممرات تحتية محفورة في الجبل، وبها مخابيء وابواب سرية مختبئة خلف المرايا وتحت الحصر.

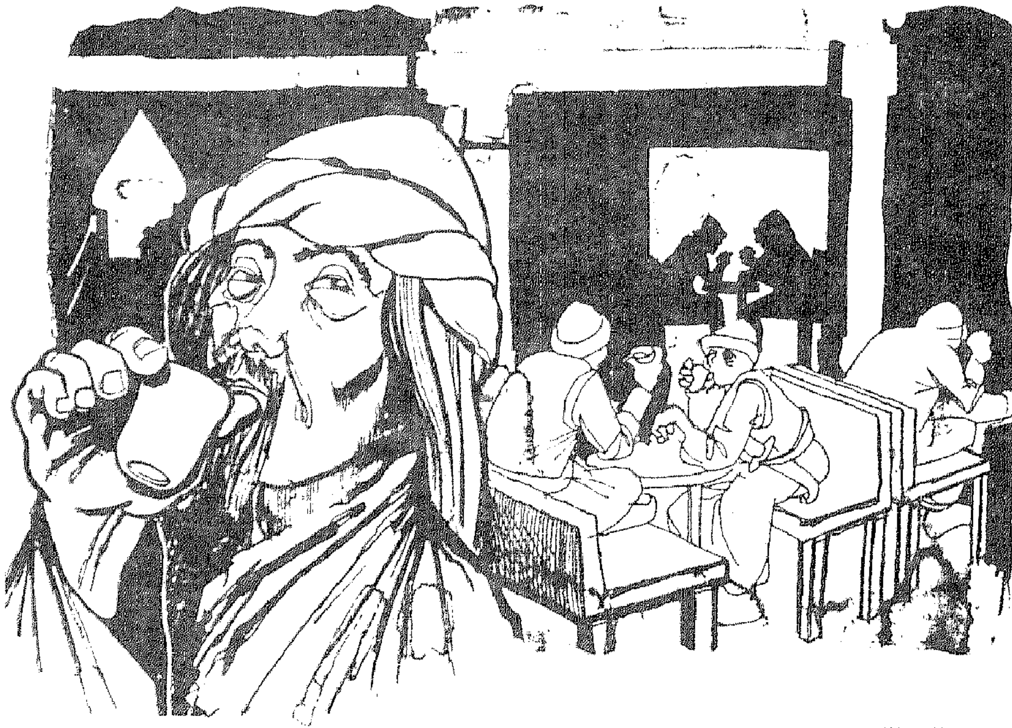
وبدأت الحملة الحاسمة بمناوشات بعيدة عن قرية «جانجي» وكانت طوالعها لا تختلف عن الحملات السالفة التي كانت تترك رجال الجمعية غير مكترثين؛ ولكن الحركة اخذت تشتد وتقوى في مدى ايام قلائل، ودنت الحملة من «جانجي»، وقبل ان يفطن رجال الجمعية لقوة الحملة ويستشعروا عنفها، كانوا قد احيط بهم من كل ناحية، واخذت عليهم المسالك والمنافذ، واخذ الشرطة يحتلون المنازل والدساكر، ولم يبق امام رجال الجمعية سوى الاعتصام بقرية جانجي نفسها، ولما علم موري بذلك من عيونه وطلائعه ارسل قوات اخرى لمحاصرة جانجي، وطوقت القرية تطويقاً تاماً، وقطعت اسلاك التليفون والتلغراف بها، وارسل موري منادياً من قبله يعلن ان على المختبئين ان يخرجوا من مكامنهم ويسلموا انفسهم في خلال اثنتي عشرة ساعة، وبعد انقضاء هذه الفترة ستتخذ



صقلية «ذكرى» موطن المافيا

إجراءات شديدة حاسمة، وعمل موري على ان يظل المختبئون منعزلين منفردين ليفيد من تخويفهم وارهابهم، وكان يقصد الا يهزمهم في ميدان الحرب لان هزيمتهم في ساحة الجهاد تحفظ لهم مكانتهم، وهو يحرص على ان يكشف للناس ضعفهم، ويظهرهم في مظهر الجبناء المستسلمين، ويجعلهم اضحوكة للعالم، واخذ رجال الشرطة يدخلون البيوت بيتاً بيتاً ويذبحون الماشية المسروقة، ويبيعون لحمها للناس بأسعار مضحكة، وكان الخوف ما يزال يمنع الناس من التقدم لشرائها، ولكن هذه الانباء بلغت المختبئين، وكان لها في نفوسهم وقع شديد، واخذ الكثير من الاشياء المسروقة المحفوظة في منازلهم، وبيعت بأثمان زهيدة. واخذ اهل الجزيرة يسخرون من هؤلاء الابطال المعروفين بقوة العزم وشدة البأس الذين تنهب بيوتهم ويباع ما بها بأبخس الاثمان وهم مع ذلك لائذون بالمخابىء شأن الجبناء المستضعفين، واخذ هؤلاء الرجال الذين ملأوا نفوس الناس خوفاً ورعباً واراقوا دماءهم واجروا دموعهم في الاستسلام وإلقاء السلاح، والكف عن المقاومة، ولم يحتفظ بإبائه وشممه سوى الزعيم القديم الابيض الذوائب «جيتانو فاريلو»، فقد ارسل لموري رسالة يعده فيها بشرفه بأنه سيسلم نفسه في قاعة استقبال عمدة القرية، وسار في خطوات رزينة رافع الرأس قوي الفؤاد إلى دار العمدة، واسلم هناك عصا كبيرة كما يسلم قائد الجيش عصاه بعد هزيمة جيشه، وقد شنق نفسه بعد ذلك في السجن ليكون موته بيده لا بيد عمرو كما صنعت الزباء قديماً.

وفر رجل آخر من رجال الجمعية محاولاً الاعتصام بالجبال، فحدث ما دل على ان الحملة قد وفقت في تحقيق غرضها، فقد سار في اثره جماعة من الاهالي حاملين السلاح وتبعوه في مخارم الجبال وغيرانها، واضطروه إلى التسليم، واحضروه مستخزياً متضائلاً بعد ان كان يتوعد بالانتقام ويشمخ بأنفه ويصعر خده، واستسلم سائر اعضاء الجمعية بين ضحكات المزارعين الساخرة وسرورهم وفرحهم، وانطلقت الالسنة المحبوسة وشدت اطرافها العيون التي كانت كليلة مغضية، وامتلأت سيارات الحكومة بمجرمي الجزيرة وشذاذها، وجمعت الادلة التي تدينهم، ولقي كل مجرم العقاب الرادع، واقسم الاعيان والمزارعون يمين الولاء للملك والقانون وطاعة الدولة، ونادى قوم في كل مكان بالجزيرة بسقوط جمعية المافيا، وتطهرت اودية جبال الجزيرة وادغالها من هذا الوباء القاتل، وقضي على قوة المافيا بعد هذه السيرة غير العطرة، وبهذا الاسلوب الحاسم الذي يمتاز به الحكم الديكتاتوري، ولعله مزيته المفردة وفضله الاوحد ■



تاريخ القهوة

حقائق وطرائف

طلال مجذوب

- سنة ١٥٣٨ جلد شاربوها سبع عشرة جلدة في مصر!
- سنة ١٦٦٩ شرب الفرنسيون قهوة تركية لاول مرة في باريس!

إن ارتشافك للقهوة اليوم امر عادي وفي غاية السهولة، غير ان الامر لم يكن كذلك في الماضي، ففي بعض البلاد العربية جلد شاربو القهوة وحبسوا وفي بعض بلاد اوروبا اجبر الحكام السكان على تناول البيرة وحرموا عليهم القهوة. وهذا المقال يختصر الحكاية الطويلة للقهوة.

ماجستير تاريخ، محاضر في الجامعة اللبنانية

البداية: اساطير:

تقول احدى الاساطير ان اول من عرف خواص شجرة البن رئيس احد الاديرة في جزيرة العرب، بعد ان شاهد قطيعاً من الماعز تدب فيه الحركة والنشاط كلما اكل من ورقها وثمارها، فجرّب ذلك بنفسه فوجد انها تعينه على السهر وتبعث في جسمه النشاط، بينما تنسب اسطورة ثانية ذلك إلى احد الرعاة، لكن رواية ثالثة تزعم ان النبي داود اول من عرف خواص القهوة. ومهما تعددة الاساطير فهي تجمع على ان موطن البن

الاول هو الشرق، سواء كان الشرق العربي (جنوب الجزيرة العربية) او الافريقي (الحبشة والصومال)، واذا كان معظم استهلاكنا من البن اليوم انتاجاً برازيلياً، فهو لا يعدو ان يكون، كما قال الصاحب بن عباد يوماً عن كتاب «بضاعتنا ردت الينا».

موطنها وصفاتها:

يعتقد ان الموطن الاصلي لشجرة البن هو الحبشة والصومال، وكان اليمن اول بلد عربي انتقلت إليه زراعة البن، ومنه انتقلت إلى انحاء العالم.

لشجرة البن اوراق دائمة الخضرة وازهار بيضاء، وتحمل ثمرتها حبتين من البن، وبعد قشرهما يظهر لونهما الاخضر القاتم. وتبدأ الشجرة بالانتاج منذ سنتها الثالثة وتظل تعطي محصولاً طيباً حتى عامها الثلاثين، ثم يخف انتاجها حتى تموت في عمر الخمسين او الستين.

تجود شجرة البن على المنحدرات على ارتفاع يزيد عن خمسمائة متر ولا يزيد عن الفين منها، وتحتاج إلى جو دافىء رطب ومطر يتجاوز خمسين بوصة سنوياً.

انواع شجرة البن تزيد عن خمسة وعشرين، لكن افضلها ثلاثة هي البن العربي (COFFEA ARABICA) وهو اجودها واطيبها، والبن الكونغولي وموطنه الاصلي الكونغو، والبن الليبيري وموطنه الاول الساحل الغربي لافريقيا.

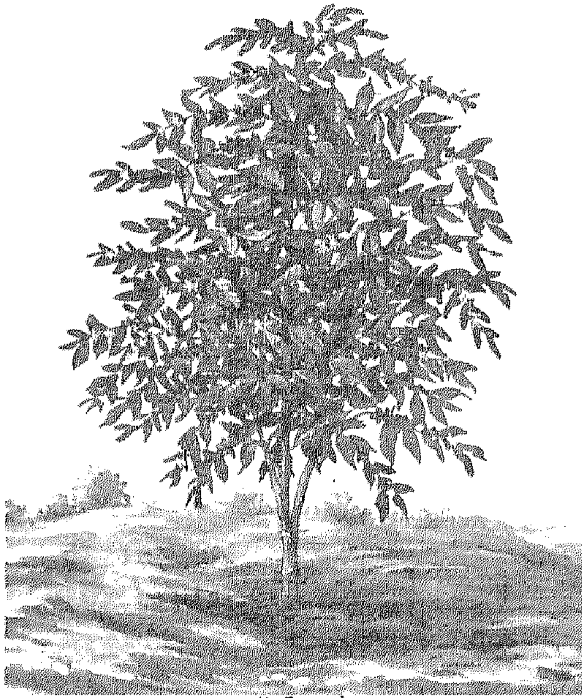
تجارة البن:

تنتج البرازيل اليوم حوالي ٤٠٪ من الانتاج العالمي، تليها كولومبيا التي تنتج ١٢٪، وتأتي بعد ذلك المكسيك والسلفادور وغواتيمالا ثم ساحل العاج واندونيسيا والهند وكينيا، اما اليمن التي يوجد فيها اجود انواع البن في مخا (MOCKA)، فان انتاجها لا يدخل في التجارة العالمية لضآلته، لان اليمن زرعت القات بدل البن.

تعتبر البرازيل بانتاجها الضخم المصدر الرئيسي للبن في العالم، وتكاد تحتكر تجارته ويتجاوز دخلها منه ثلاثة مليارات دولار سنوياً، وحتى تحافظ البرازيل على مستوى اسعاره فانها تحرق الكميات الزائدة منه او ترميها بالبحر، او تزفت بها الطرقات، كما فعلت اكثر من مرة خلال السنوات الماضية.

تركيب القهوة وتأثيرها:

بعد نزع قشر ثمرة البن وتجفيفها وتخميرها قليلاً ثم تحميصها فان منقوعها هو الذي يشرب ويسمى القهوة. وتحتوي القهوة على ٠,٧٥ إلى ١,٥٪ من وزنها من مادة



شجرة البن.

الكافيئين (CAFFEINE) وهي مادة بلورية بيضاء تذوب في الماء،وكذلك بها زيت طيار وغلوكوز (سكر عنب) وبعض البروتين والدهون، والبن العربي يحتوي كميات ضئيلة من الكافيئين نسبة للانواع الاخرى.

ان التأثير الفعّال للقهوة كامن في مادة الكافيئين التي لها قدرة على الانعاش وتخفيف التعب، وتنشيط المراكز العصبية والدورة الدموية، وزيادة ادرار البول، لكنها من جهة اخرى تزيد من ضغط الاوعية الشريانية، ومن

ضربات القلب، وتساعد على زيادة حموضة المعدة وينصح مرضى القلب والضغط والكبد بالاقلال منها او الاقلاع عنها.

تعددت الاسماء والاصل عربي:

القهوة لفظ عربي صميم معناه الخمرة، او اللبن المحض، وسميت كذلك لانها عند بدء انتشارها في بلاد العرب كانت تدار على الشاربين في ماعون كبير، كما تدار الخمرة او هي، كما ذكر ذلك ابو بكر بن ابي يزيد في كتابه «النخوة في حل القهوة»... «من الاقهاء وهو الاحتواء اي الكراهة، او من الاقهاء بمعنى



إحدى مزارع البنّ الأولى في
مزارعها.

الاقعاد، من اقهى الرجل عن الشيء اي قعد عنه... ومنه سميت الخمرة قهوة لا تقهي اي تكره الطعام وتقعد عنه...».
ولم يخرج قاموس المنجد عن هذا التفسير ايضاً.

من اللفظ العربي انتقلت إلى معظم لغات العالم، فالانجليز يسمونها (COFFEE) والفرنسيون (CAFÉ) والروس (KAPÉ) والبولنديون (KAVA) والاتراك (KAHVE) والايرانيون يكتبونها قهوة ويلفظونها كالاتراك «قهقة».

... وتنوعت مشاربها:

إذا كان للعرب فضل نشر البن في العالم فلهم ايضاً فضل ابتكار «القهوة»، لان الاحباش كانوا يشربون منقوع البن وقشره وورقه، وكان مراً لاذعاً، ثم ظهر منقوع البن المحمص في اليمن ومنها انتشر لسائر انحاء العالم، ويتجاوز عدد شاربي القوة اليوم في العالم ملياراً ونصف مليار.

القهوة العربية هي المصنوعة من البن المحمّص الذي يدق «بالمهباج» ويطبخ «بالدلة» ويقدم بفنجان مصمت (بدون يد) وتسمى القهوة العربية او «المرّة» او «السادة»، وهي بدون سكر ومهضمة جداً خصوصاً بعد الاكلة العربية الشهيرة «المنسف».

اما القهوة التي نشربها اليوم فهي محلاة بالسكر وبنّها مطحون جيداً ومضاف إليها «حب الهال»، وإذا كانت حلوة سميت «سكر زيادة» وإذا كانت معتدلة الحلاوة سميت «وسط» او «مضبوط» اما إذا كانت حلاوتها قليلة فتسمى «عالريحة» والطريف ان العرب يعرفون هذه القهوة «بالعثمانلية» بينما تعرف في اوروبا باسم «القهوة التركية».

اما الاوروبيون فيشربون القهوة غالباً ممزوجة مع الحليب، اما القهوة الخالية من الحليب فتعرف بالقهوة السوداء (BLACK COFFEE) وقد ابتكر الاميركيون القهوة السريعة (INSTANT COFFEE) التي يجرى تحضيرها فوراً، وكذلك يشرب الاوروبيون القهوة المحضرة آلياً (EXPRESSO) وقهوة (NESCAFÉ) وغيرها. والقهوة النمساوية هي الاجود في كل اوروبا.

انتشارها في البلاد العربية:

بدأت القهوة بالانتشار في اليمن في القرن السادس عشر الميلادي على يد الامام جمال الدين ابي عبد الله بن سعيد الذبحاني كما ورد في كتاب الشيخ محمد عبد القادر الجزيري المسمى «عمدة الصفوة في حل القهوة»، اذ ذكر ان الامام جمال الدين كان يقوم بتصحيح الفتاوى في عدن، وبعد ان قام بزيارة الساحل



اعداد القهوة العربية.

الافريقي المقابل لها وجد سكانه يستعملون شراب القهوة، فاستحسن ذلك واخذ يشرب القهوة بعد رجوعه إلى عدن، لما اصبح هذا الامام من المتصوفة اقبل ورفاقه على شربها لتعينهم على السهر فاشتهر امرها بين الصوفية والفقراء.

بينما يذكر «الغزّي» في كتابه «الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة» ان انتشارها في اليمن تأخر حتى اوائل القرن السابع عشر، وان ذلك تم على يد ابي بكر الشاذلي العيدروسي الذي جرّب ثمارها اثناء تجواله في البرية متنسكاً زاهداً، وانه ارشد اتباعه، فيما بعد، إلى مزاياها.

بعد اليمن انتشرت في الحجاز ونجد ومناطق الجزيرة العربية الاخرى، وفي السنوات العشر الاولى من القرن السابع عشر ظهرت لاول مرة في مصر، حيث اخذ يتعاطاها اليمانيون في رواقهم بالازهر، ومنه انتقلت إلى سائر الاروقة، واخذ الشيوخ يشربونها ليلة كل اثنين وجمعة لتساعدهم على السهر اثناء حلقات الذكر، وكانوا يضعونها في اناء كبير من الفخار الاحمر ويقوم نقيبهم باسقائهم وهم يرددون «لا إله إلّا الله الملك الحق المبين».

بين التحريم والاباحة:

لم يمض امر شرب القهوة بسهولة، ففي العراق حرّم شرَبها بعض الفقهاء لانها تحمص حتى تصير كالفحم والفحم من الخبائث، بينما افتى غيرهم بتحليل القهوة (بكسر القاف) وهي منقوع البن وتحريم القهوة (بفتح القاف) لانها هي الخمرة.

وفي اوائل القرن السادس عشر منع امير مكة «خاير بك» من شرب القهوة، ومعاقبة من يشربها علناً، فصار الناس يشربونها في بيوتهم خفية، وعلق احد الشعراء قائلاً:

قهوة البن حرمت	فاحتسوا قهوة العنب
واشربوها وعربدوا	والعنوا من هو السبب

ولم يستمر المنع طويلاً، فعاد الناس إلى شربها في محلاتها المعروفة «ببيوت القهوة»، وفي سنة ١٥٢٥ اشار الشيخ العارف بالله سيدي ابن عرّاف على حاكم مكة بمنع شربها في بيوت.

وفي الازهر افتى شهاب الدين بن عبد الحق السنباطي الشافعي سنة ١٥٣٤ بأنها مسكرة، فتشجع بعض العامة وهاجموا بيوت

القهوة فكسّروا اوانيها وضربوا مرتاديها. وقال احد الشعراء بهذه المناسبة:

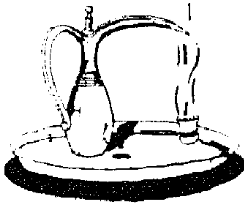
ان اقواماً تعدوا — والبلا منهم تأتي
حرّموا القهوة عمداً — قد ردوا إفكا وبهتا
ان سألت النص قالوا — ان «عبد الحق» افتى
يا أولي الفضل اشربوها — واتركوا ما قال بهتا
ودعوا العزّال فيها — يشربون الماء حتى

واشتد الجدل بين محرميها ومحبّذيها فأفتى الشيخ محمد بن الياس الحنفي بتحليل شربها، فوصف احد الشعراء ذلك مادحاً القهوة:

يعتقد ان اول بلد اوروبي عرفها كانت فرنسا سنة ١٦٦٩ عندما اوفد السلطان العثماني محمد الرابع سفيره «مصطفى آغا راجي باشا» إلى بلاط ملكها لويس الرابع عشر، فأقام حفلة شرقية قدم خلالها القهوة فتذوقها الناس واحبوها، ثم اقيم فيما بعد اول مقهى في باريس في حي سان جيرمين وكان صاحبه ارمنيا عثمانياً.

وفي سنة ١٧٢٣ قام ضابط بحري فرنسي يدعى «دي كليو» بنقل شجيرة بن إلى جزر المارتنيك وزرعها، وبعد مرور خمسين سنة كانت الجزيرة تضم ١٩ مليون شجرة بن.

يا قهوة تذهب همّ الفتى — انت لحاوي العلم نعم المراد
شراب اهل الله فيها الشفا — لطالب الحكمة بين العباد
نطبخها قشرا فتأتي لنا — في نكهة المسك ولون المداد
كاللبن الخالص في حِلّه — ما خرجت عنه سوى بالسواد



وفي سنة ١٥٣٨ بينما كانت بيوت القهوة ممتلئة بروادها في القاهرة بعد الافطار في احد ايام رمضان، جاء رئيس الشرطة فأخرج الناس منها وساقهم مكبلين إلى المخفر، وفي الصباح اطلق سراحهم بعد ان جلد كلا منهم سبع عشرة جلدة!

ووصف جمال القهوة ومذاقها الشاعر احمد بن شاهين الشامي بقوله:

وقهوة كالعنبر السحيق — سوداء مثل مقلة المعشوق
اتت كمسك فائح فتيق — شبهتها في الطعم كالرحيق
تدين الصديق من هوى الصديق — وتربط الود مع الرفيق
فلا عدمت مزجها بريقي

وفي اوروبا منعت ايضاً:

هاجم رجال الكنيسة الكاثوليكية شرب القهوة وحرموها على المؤمنين باعتبارها «شراباً ملعوناً»، حتى جاء البابا كلمنت الثامن وسمح بها.



انتشارها في بلاد العالم:

منذ القرن السابع عشر اخذت القهوة بالانتشار في انحاء العالم فقد نقلها العرب إلى سيلان (سرى لانكا) سنة ١٦٥٨ وإلى اندونيسيا سنة ١٦٩٦.

اما الولايات المتحدة فقد وصلتها سنة ١٦٦٨ بينما لم تصل إلى البرازيل قبل سنة ١٧٢٧.

وفي المانيا منع ملكها فردريك الكبير شربها، وحرم استيرادها، وفرض احتساء البيرة بدلًا منها، لما لم يجد تجاوباً احتكر تجارة البن وطحنه.

وفي الولايات المتحدة كسبت القهوة النصر على الشاي بعد حادثة الشاي في بوسطن سنة ١٧٧٣ واصبحت القهوة هي المشروب القومي في امريكا بينما تراجع الشاي إلى المرتبة الثانية.

بيوت القهوة ونواديها:

انشئت في البلاد العربية محلات لشرب القهوة دعيت «بيوت القهوة»، وصار بعضها يحاول كسب زبائن اكثر باحضار المغنين والموسيقيين ليطربوا زبائنهم، وفيما بعد صارت تدعى «القهوة» اختصارا، اما كلمة «المقهى» فهي اصطلاح حديث وتعني مكان ارتشاف القهوة.

وفي الدولة العثمانية، خصوصاً في اسطنبول، اصبحت المقاهي مراكز للعاطلين عن العمل و «التنابل»، فلما استلم الحكم مصطفى كمال اتاتورك حرّم فتح ذلك النوع من المقاهي وامر بفتح المكتبات بدلاً منها، ولذلك صار الناس يتجايلون بفتح مقهى وتسميته «كتابها نسي» خصوصاً في الاماكن الشعبية، وكذلك كان الامر في ايران إذ اغلق رضا شاه المقاهي او حولها إلى مكتبات مع ان ٩٥٪ من شعبه كان امياً، ولا تزال كثير من المقاهي الشعبية في ايران اليوم تحمل لافتات كتب عليها «قرائت خانة» اي مركز مطالعة!

وفي اوروبا كانت تسمى (COFFEE HOUSE) وكان يرتادها الفنانون والادباء والسياسيون واشتهر في لندن مقهى «ويل» وفي فرنسا مقاهي سان جيرمين في باريس وفي الولايات المتحدة مقاهي نيويورك وفيلادليفيا، وقد وصف احد العرب هذه المقاهي العربية وجمال الذين يقدمون القهوة فيها، بينما تعبق روائح البخور والزهور، فقال:

عرِّج على القهوة في حانها	فاللطف قد حفّ بندمانها
وقهوة لا غمّ تبقي إذا	قابلك الساقي بفنجانها
قريبة العهد بعدن فإن	شككت في نظر حسن ولدانها
شراب اهل الله فيه الشفا	جواب من يسأل عن شأنها
بمائها نغسل اكبادنا	ونحرق الهمّ بنيرانها
فاشرب ولا تسمع كلام الذي	بجهله يفتي بحرمانها

وفي مجلس جمع يوسف الاسير وناصيف اليازجي، قدمت لهما القهوة، فامتنع الاسير عن تناولها منشداً:

قهوة البن حرام	قد نهى الناهون عنها

لكن اليازجي تناول فنجانه وردّ عليه قائلاً:

كيف تدعوها حراماً	وانا اشرب منها؟

لشربها اصول وآداب:

صارت القهوة، في معظم البلاد العربية، مشروب الضيافة الاول، وفي لبنان تقوم السيدات بزيارة احداهن في بيتها في الصباح الباكر لتناول القهوة ويسمين ذلك «صبحية» كما اصبح مألوفاً ان تقدم القهوة السادة في المآتم،

وفي ساحات المعارك.





وفي بعض البلاد العربية لا تعتبر المصالحة بين الخصوم قد تمت ما لم يشربوا القهوة معاً، وفي السعودية يهز الضيف فنجانه بعد احتسائه علامة الاكتفاء، وإذا لم يفعل، يظل الساقي يقدمها له مراراً، والعادة ان تقدم القهوة من اليمين إلى اليسار، ما لم يكن بين الحاضرين شخص ذو شأن فيبدأ التقديم له.

نهاية القصة خرافات:

بلغ من تأثير القهوة في عادات الشعوب ومعتقداتها انها امتزجت بكثير من الخرافات، مثل الاعتقاد بأن انسكاب القهوة على الملابس علامة خير وكسر فنجانها «خاتمة الشرور»، بالاضافة إلى الايمان بأن بقايا القهوة في الفنجان تدل على «بخت» الانسان وترسم خطوط مستقبله، ويسمى هذا الفن «تبصيراً» وليس ادل على شهرة هذا الاعتقاد من انتشار اغنية عبد الحليم حافظ «قارئة الفنجان» في طول البلاد العربية وعرضها. ■



مراجع:

- الموسوعة البريطانية.
- الموسوعة العربية الميسرة.
- الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة / تأليف نجم الدين محمد بن محمد الغزي.
- حرية الفكر وابطالها في التاريخ / سلامة موسى.
- مجلات وصحف متعددة.

اختراع المنظار

إن خاصة التقريب والتكبير في المنظار ترجع الى البلورة العدسية وهي زجاجة مستديرة ذات سطحين محدبين ، ولا يعرف بالتدقيق من هو أول مخترع لهذه العدسة ، ولكن المعلوم المقرر أنها كانت مستعملة منذ ستة قرون لاعانة البصر على تمييز المرئيات الصغيرة . وأول من وصفها على ما نعلمه راهب انكليزي اسمه روجر باكون ولد سنة ١٢١٤ وتوفي سنة ١٢٩٤ وكان عالما كبيراً وفيلسوفاً عظيماً ألف كتبا كثيرة وقد أشار إليها في كتابه « المؤلف الأكبر »

أما استعمال العدسيات في أنابيب مستطيلة لرؤية الأشباح البعيدة « التلسكوب » فيظهر أنه بدأ في أواسط القرن السادس عشر ، ويظنون أن أول من فعل ذلك رجل اسمه ليونار ريجس المتوفي سنة ١٥٧٣ ، ولكن المقرر عند جمهور العلماء أن شرف اختراع التلسكوب على مثل ما هو عليه الآن يرجع إلى أهل هولندا يتنازعه اثنان منهم أحدهما حنا ليبرشيم كان يصنع النظارات في ميدلبرج ، والثاني يعقوب أدريانس ويسمى أيضا ماتيوس من مدينة الكمار . وسبب هذا التنازع أن الأول عرض على حكومته في اكتوبر سنة ١٦٠٨ ثلاث آلات لرؤية الأشباح البعيدة والتمس جائزة العصر أو ما يشبهها . وبعد بضعة أيام قدم الثاني آلات كالآلات الأولى وطلب نفس الطلب وقال أنه اصطنع مثل هذه الآلات قبل ذلك بسنتين . هذا أول اختراع التلسكوب ثم أخذ يتقدم ويتحسن بمرور الأيام .

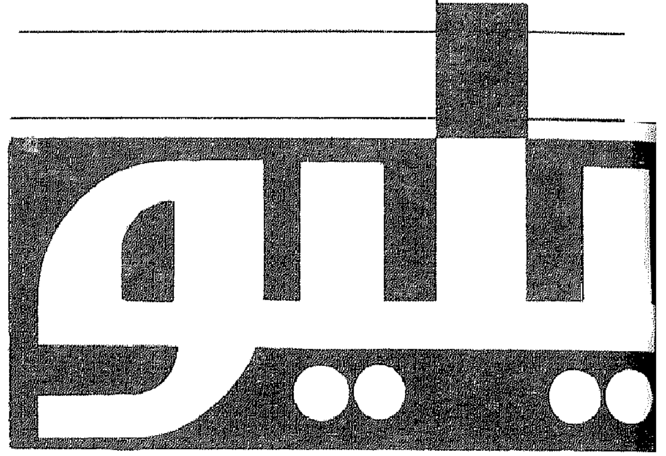
جاليليو جاليلى هو العالم الايطالي والمسؤول الاول عن تطوير المناهج العلمية اكثر من اي انسان آخر. ولد في مدينة بيزا سنة ١٠٦٤. ودرس في جامعتها. ثم توقف عن اكمال دراسته لاسباب مالية. ورغم ذلك فقد حصل على وظيفة مدرس في الجامعة في ١٥٨٩. وبعدها بسنوات التحق بالتدريس في كلية بادوا وظل هناك حتى سنة ١٦١٠. وفي تلك الفترة انتج اعظم اعماله العلمية.

واهم انجازاته العظيمة كانت في الميكانيكا. فالفيلسوف الاغريقي ارسطو قال لنا: ان الاشياء الثقيلة يكون سقوطها الى الارض اسرع من الاشياء الاقل ثقلا وسار وراءه العلماء مئات السنين، وقام جاليليو بتجارب عديدة على ذلك. فاكتشف ان ارسطو لم يكن على صواب، واكتشف ان سرعة سقوط الاجسام الخفيفة والثقيلة واحدة، الا اذا تدخل احتكاكها بالهواء.

إعداد قسم التوثيق والأبحاث



والجديد في تجارب جاليليو انه وضع لها قواعد رياضية تصف حركة سقوط الاجسام وسرعتها. ثم انه اكتشف قانون «القصور الذاتي».. فقد آمن الناس بأن الجسم يبطيء في حركته الا اذا تدخلت قوى اخرى ودفعته الى الحركة.. ولكن جاليليو اكتشف العكس: ان الجسم يظل متحركا الى ما لا نهاية الا اذا اعترضه جسم او اي عامل آخر كالاحتكاك بالارض او الهواء. وهذا الاكتشاف الذي جعله



نيوتن بعد ذلك القانون الاول للحركة، كان اكتشافا علميا عظيما.

واروع اكتشافات جاليليو كانت في علم الفلك، فقبل جاليليو كانت هناك نظريتان: واحدة تقول ان الشمس مركز الكون (عند كوبرنيكوس).. والاخرى تقول: ان الارض مركز الكون.. وفي سنة ١٦٥٩ اثبت جاليليو ان الفلكي كوبرنيكوس على حق وان الشمس هي مركز الكون او عالمنا نحن.

وفي ذلك الوقت سمع جاليليو عن انهم اخترعوا التلسكوب في هولندا. فاستعان به وادخل عليه تعديلات كثيرة. ثم وجهه نحو السماء، واهتدى الى اكتشافات كثيرة. نظر الى القمر واكتشف انه ليس جسما مستويا، وكذلك كل الاجسام السماوية. ولا كامل الاستدارة - تماما كالارض التي نعيش عليها. ففيها وديان وجبال. ونظر الى «الطريق اللبني» في السماء.. فلم يجده طريقا ولا وجده لبنا. وانما هو مجموعة من نجوم لا نهاية لها، بعيدة جدا لا تدركها العين. ونظر الى الكواكب فوجد دوائر تلف كوكب زحل. كما انه رأى اربعة من الاقمار تدور حول كوكب المشتري. وفي ذلك دليل جديد على انه من الممكن ان تكون هناك اقمار اخرى تدور حول كواكب اخرى غير الارض.

ونظر الى الشمس ووجد عليها بقعا سوداء(صحيح ان آخرين قد لاحظوا هذه البقع من قبل. ولكنه هو الذي نشر ذلك على اوسع نطاق). ولاحظ ان كوكب الزهرة يمر بمراحل مختلفة كالتي يمر بها القمر. كل ذلك اعلنه دليلا على صحة نظرية كوبرنيكوس من ان الارض والكواكب الاخرى كلها تدور حول الشمس.

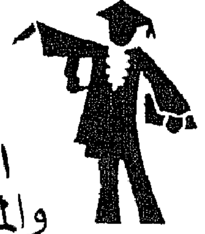
وعارضته الكنيسة في ذلك الوقت. ولما مات البابا جاء واحد جديد من المعجبين بجاليليو، فتركه يمارس حريته العلمية. وامضى جاليليو ست سنوات اكمل فيها كتابه الشهير «حوار حول النظامين الفلكيين المشهورين». ولم يكد يظهر هذا الكتاب حتى ثارت الكنيسة وقدمته لمحاكم التفتيش باعتباره خارجا على الكنيسة.

اما الحكم الذي صدر ضده فلم يكن السجن، وانما فقط ان يلزم بيته دون ان يزوره احد في بيته الانيق. اما العقوبة الاخرى التي كان عليه ان ينفذها فهي ان يعلن امام الناس جميعا انه ليس صحيحا ان الارض تدور حول الشمس، وانما الشمس هي التي تدور حولها!!

- وكان في التاسعة والستين من عمره، ويقال انه نظر الى الارض وقال هامسا: ولكنها هي التي تدور!

والفضل العظيم لجاليليو هو ايمانه بالتجربة وليس بما يقوله الاقدمون ايا كانوا: سواء كانوا فلاسفة او كانت الكنيسة. وعلى الرغم من انه مات متدينا حتى آخر لحظة، فإنه رفض ما تدعيه الكنيسة من انها على حق.. وانها ضد ما تقوله التجارب العلمية والملاحظات الفلكية.

■



الحلقة الثانية

امبراطوريات الصين

طارق فتحي سلطان



يتناول هذا البحث الامبراطوريات التي حكمت بلاد الصين في العصور القديمة، مع تناول الاوضاع الداخلية التي سادت بلاد الصين مركزين على اهم الاحداث المحلية فيها، في محاولة لفهم الظروف المترتبة على طبيعة ونوعية سياسة الدولة. على ضوء هذه الاحداث، وفي هذه الحلقة سنتناول الدول والعائلات التي حكمت الصين منذ ٩٠٧م حتى ١١٢٦، بعد ان تناولناها في الحلقة الاولى منذ زمن ظهور الاسلام.

● (امبراطوريات الصين) رسالة ماجستير اعدت في كلية الاداب قسم التاريخ في جامعة الموصل.

٢ - فترة السلالات الحاكمة الخمس (The Five Dynasties (907-960AD) ٩٠٧-٩٦٠م.

يسمي الصينيين الفترة من ٩٠٧ – ٩٦٠م بفترة السلالات الخمس وهذه تسمية غير دقيقة، وذلك لوجود عشرة سلالات حاكمة اخرى في الجنوب، وقد اعتبر المؤرخون الصينيون هذه السلالات العشر بانها غير شرعية[١].

ففي سنة ٩٠٧م، استطاع (Chu Wen) – القائد العسكري لامبراطورية التانغ، في وادي النهر الاصفر – ان يخلع الامبراطور التانغي، وينصب نفسه امبراطوراً، وقد سميت الدولة التي اسسها هذا القائد العسكري، بسلالة ليانغ المتأخرة (Later Liang) وهذه السلالة تأسست سوية مع سلالة تانغ المتأخرة (Later Tang)، وقد شكلت هاتان السلالتان مع السلالات الثلاث التالية، السلالات الخمس، التي حكمت شمال الصين لمدة ٥٣٠ سنة، اما بقية السلالات الخمس فهي سلالة تسن المتأخرة (Tsin Later)، وسلالة هان المتأخرة (Later Han)، وسلالة جاو المتأخرة (Later Chou)[٢].

اما السلالات العشر الحاكمة في الجنوب، فقد تشكلت من القواد العسكريين، والذين اعلنوا انفصالهم واستقلالهم في اواخر عهد الامبراطورية، معلنين انفسهم اباطرة وملوكاً في الجنوب، اما اهم هذه السلالات العشر فهي كوانغ تونغ (Kwangtung)، شيسوان (Schechwan)، سيكيانغ (Chekiang)، وكان يعم هذه المقاطعات سلام نسبي وتقدم اقتصادي، لذلك كان حكامها قادرين على ادارة شؤونهم، ولم يعتمدوا على الحكومة المركزية – عندما كانوا تابعين لها اسمياً – في ادارة الولايات، كما احدثوا تقدماً ثقافياً ملموساً[٣]، وقد ساعدها الهدوء النسبي الذي عاشته إلى التفرغ لاعمال البناء والري[٤]، ولم تفقد هذه المقاطعات اهميتها عندما اصبحت تابعة لامبراطورية السونغ[٥].

وقد عمت خلال فترة السلالات الحاكمة الخمس، الفوضى الادارية والسياسية والاقتصادية، فنشبت الحروب فيما بين هذه السلالات، – خصوصاً السلالات الشمالية – فأخذ بعض القادة العسكريين يستخدمون قوى خارجية، وخصوصاً الاتراك، من اجل تدعيم مراكزهم في الصين[٦]، فقد ساعد الخطاي (Khitan) احد القواد العسكريين المدعو (Shih Ching-tang)، من سلالة تانغ المتأخرة (Later Tang)، على انشاء سلالة تسن المتأخرة (Later Tsin)، في مقابل ان يعلن الولاء للخطاي، وان يدفع لهم جزية سنوية مقدارها ٣٠٠,٠٠٠ قطعة قماش.

وفي سنة ٩٣٧م (٣٢٥ – ٣٢٦هـ) اعلن الخطاي (Khitan) عن تكوين امبراطوريتهم في شمال الصين، ثم قادوا في سنة ٩٤٦م جيشاً، مستغلين الضعف التي تعاني منه الصين، فتقدموا باتجاه كاي – فنغ (Kaifeng) عاصمة سلالة تسن المتأخرة – التي انشئت بمساعدتهم من قبل – إلا ان المقاومة التي تلقتها هذه الامبراطورية من الصينيين في كل مكان من وادي النهر الاصفر، اجبرتهم على ترك (Kaifeng) والعودة إلى مواطنهم الاصلية في شمال الصين[٧].

وفي سنة ٩٥٩م، قام حاكم سلالة جاو المتأخرة (Later Chou)، بقيادة جيش باتجاه الخطاي (Khitan) واستعاد مدينتي ينغ شو (Ying-Chow) ومو شو (Mo-chow)(حالياً Hopei)، واللتين تخلى عنهما للخطاي حاكم سلالة تسن المتأخرة (Later (Later Tsin)[٨].

كل هذه الاوضاع، ادت إلى حدوث ارباك في التجارة، وفي بقية المرافق الاخرى، فقد دمرت المدن الشمالية، ومنها العاصمة القديمة جانغ – آن، واصبح الشمال محكوماً من قبل الخطاي (Khitan) – القبيلة البدوية التي حملت اسم (Liaco) – وانتقل مركز التجارة من شمال غرب الصين إلى العاصمة بكين نفسها بعد ان اصبحت مركزاً مهماً للخطاي، فانتقلت مراكز التجارة من حوض النهر الاصفر الى بكين واصبحت مركزاً تجارياً مهماً، اما الجنوب وخصوصاً اقاليم جنوب اليانغستين

واقليم (Szechwan) و (Chekiang) و (Kwangtung)، فقد ازدهرت فيها التجارة، مقارنة بالشمال، وحصلت على قوة سياسية كبيرة[٩].

ولم يكن كل حكام هذه السلالات من القواد العسكريين، فعلى سبيل المثال كان حاكم مقاطعة جو (Chou) (تقع في هونان حالياً)، والمدعو (Ma-Yin) صانعاً للسجاد، وجعل من نفسه حاكماً وسيطر على الطرق التجارية الرئيسية، ونظم الادارة، وشجع التجارة، فقد اوقف استيراد السلع، وسمح بتصدير المنتجات المحلية كالشاي والحديد والرصاص واعتنى باستثمار الموارد الطبيعية، وقد حصل هذا الحاكم جراء هذا التنظيم على واردات كبيرة[١٠].

كما جرت بعض التنظيمات في السلالات الاخرى، فمثلاً قام امبراطور سلالة جو المتأخرة (Later chou)المدعو (Shih Tsung)، بتشجيع استصلاح الاراضي، وقام بمسح الاراضي الزراعية، وقلل الضرائب، ونظم الجيش وطوره، وذلك بادخال العناصر الشابة فيه، وتبعاً لهذه التنظيمات فقد ازدادت قوة هذه السلالة عسكرياً واقتصادياً[١١].

اما مقاطعة (Wu Yuch)، الواقعة في جنوب شرق سلالة تانغ المتأخرة، التي كانت عاصمتها (Hang-chou)، فتمتعت بسلام نسبي، ولم تدخل في حروب مع جيرانها، بل تفرغت لاعمال البناء واعمال الري، فانشأت السدود على الانهار لتوزيع المياه على الحقول، ونتيجة لما تمتعت به من استقرار، وما انشأته من سدود، فقد كثر انتاجها الزراعي، وخصوصاً الرز الذي اصبح رخيصاً، نظراً لكثرة انتاجه[١٢].

وانتهت فترة السلالات الخمس، بتأسيس سونغ الشمالية حيث قام القائد العسكري لسلالة (Later Chou) والمدعو (Chao Kuang)، باسقاط سلالة جو المتأخرة (Later Chou)، واسس سلالة سونغ الشمالية في سنة ٩٦٠م. منهياً بذلك اوضاع التجزئة التي عاشتها الصين في فترة السلالات الخمس[١٣].

٣ - امبراطورية الخطاي

(Liao-Khitan)[١٤] ٩٣٧ - ١١٢٥م:

الخطاي (الكتان) قبيلة من القبائل المغولية، ظهرت وتقوت في شمال شرق منغوليا، خلال فترة التانغ، وجاءت قوتهم من انضمام بعض القبائل لهم في الغرب، وفي كوريا ومنشوريا، وفي حدود سنة ٩٠٠م، اصبحوا قوة مسيطرة في الشمال، وبرزت قوتهم كبروز اية قوة بدوية، وعندما سقطت امبراطورية التانغ، طالب الخطاي بالعرش الصيني، وادعوا العرش، باعتبارهم اكبر قوة في الشرق الاقصى، وقد خاض الخطاي حروباً عديدة، لاقوا خلالها عدداً من النكسات، فقد كان لهم اعداء مثل دولة بوفاي (Po-Hai)،التي حكمت شمال كوريا، وكذلك حكومة (Kao-Li) الكورية، والتي تحررت من نفوذ الصين في سنة ٩١٩م. وفي سنة ٩٢٧م دمر الخطاي دولة (Po-Hai)، فجلب لهم هذا النصر عدداً من القبائل وضمنها قبيلة (الكين Jurchen) التي خضعت لهم، وقد استغل الخطاي اوضاع الصين الداخلية وما تعانيه من التمزق لصالحهم، فقد قام الخطاي بمساعدة الجنرال التركي (Shih Ching-táng)، في سنة ٩٣٦م[١٥] والذي كان قائداً عسكرياً لسلالة تانغ المتأخرة (Later Táng)، بتأسيس سلالة (Later Tsin) مقابل جزية سنوية مقدارها ٣٠٠,٠٠٠ قطعة قماش[١٦]، وبهذا الشكل اصبحت هذه السلالة كدولة تابعة بشكل او بآخر إلى نفوذ الخطاي، واصبحت مناطق واسعة من شمال الصين خاضعة لهم، ثم اتخذت هذه السلالة لنفسها اسم سلالة لياو (Liao Dynesty) في سنة ٩٣٧م[١٧]. متخذين من بكين عاصمة لهم [١٨]، وفي سنة ٩٤٦م قاد الخطاي جيشاً لاحتلال ممتلكات اسرة تسن المتأخرة إلا انهم فشلوا في ذلك[١٩]، اما في سنة ٩٥٩م فقد قام حاكم سلالة جو المتأخرة باحتلال مناطق تابعة للخطاي[٢٠].

وخاضت سلالة تانغ المتأخرة حروباً متعددة ضد الخطاي حيث قام الامبراطور (Tai Tsung) بشن هجومين ضد الخطاي، إلا انه دحر في كلتا المحاولتين، واستولى فرسان سلالة

الخطاي على اعداد كبيرة من المواشي بالاضافة إلى آلاف الاسرى من الفلاحين[٢١].

وعندما جاءت اسرة سونغ الشمالية، وحاولت توحيد الشمال اصطدمت بقوة الخطاي، حيث دحر الامبراطور السونغي الثاني مرات عديدة، عندما حاول ضم الشمال لامبراطوريته[٢٢]. وفي سنة ١٠٠٤م قاد امبراطور الخطاي هجوماً ضد سلالة سونغ الشمالية، إلا ان الجيش وجد مقاومة قوية، حيث قتل قائد الجيش في المعركة، وقد كانت الاوضاع مضعضعة في عاصمة السونغ الشمالية كاي - فنغ (Kaifeng)(Pienching) وكان التفكير بنقل عاصمة السونغ إلى نانكين (Nanking) او (Cheng-tu)، إلا ان هذا النصر ومقتل القائد العسكري للخطاي، عزز من مقاومة اسرة السونغ، فقام رئيس وزراء السونغ (Kou chun)، بطرح اقتراح ينص على قيام الامبراطور السونغي بعبور النهر الاصفر، وادارة المعركة وفعلاً عبر الامبراطور إلى تان شو (Tanchow)، ودحر جيش الخطاي فيها، إلا ان هذا الانتصار لم يضعف الخطاي، حيث ظلوا اقوياء، لذلك فقد تم عقد صلح بين الدولتين الخطاي والسونغ، تدفع بموجبه اسرة سونغ الشمالية ١٠٠,٠٠٠ قطعة فضة (taels) و٣٠٠,٠٠٠ قطعة قماش من الحرير[٢٣].

وقد امتلكت دولة الخطاي عدداً كبيراً من الخيول، والتي كانت تشكل مورداً مهماً بالنسبة للدولة، حيث كانت هذه الخيول تباع للدول المجاورة، وخصوصاً امبراطورية السونغ[٢٤] - حيث كانت تستخدمها سلالة سونغ للاغراض العسكرية - اما ادارة هذه الدولة فهي ادارة عسكرية، حيث يتولى القائد العسكري جمع الضرائب في المقاطعة التي يحكمها، ولا يصل من هذه الضرائب شيء إلى البلاط سوى ضريبة (الخمر)، اما تموين الجيش بالمواد الغذائية، فقد كان الجند في وقت السلم يعملون كفلاحين، وبذلك يوفرون للدولة الكثير من الاموال بالاضافة إلى ان الفلاحين يساهمون في امداد الجند بالمواد الغذائية، وقد استغلت دولة الخطاي موارد الدولة لصالحها، وعاش قادتها كطبقة ارستقراطية[٢٥].

ثم برزت قوة الكين (Juchén)، حيث احتلت هذه القبيلة بكين عاصمة سلالة الخطاي في سنة ١١٢٥م[٢٦]، وبعد تدمير سلالة الخطاي من قبل الكين (Juchén)، نزحت البقية الباقية منهم باتجاه الغرب، وشقت طريقها بالقوة، حيث استقروا في جبال سنكيانغ (Sinkiang)سنكيانغ الشمالية، وبعد ان انضمت اليهم مجموعة من القبائل، انشأوا ما يسمى بـ (Western Liao) او كما تسميها المصادر دولة القراخطاي (Kara-Kitai) التي كانت عاصمتها بلاساغون (Balasagun)، إلا ان السيطرة الفعلية في هذه الدولة كانت بيد القبائل التركية، التي شاركت الخطاي في الثقافة. وفي سنة ١٢١١م دمرت هذه الدولة علي يد الدولة الخوارزمية.[٢٧]

٤ - دولة (Hsi-Hsia) هسي - هسيا ١٠٣٨-١٢٢٧م:

بعد ان دحرت دولة توبا (Toba) في شمال الصين سنة ٥٥٠م انسحبت بعض القبائل من التوبا (Toba)، باتجاه حدود التبت والصين، ومع بداية حكم امبراطورية التانغ، منحت قبائل التوبا ولاءها لهم. حيث كان قواد هذه القبيلة يتلقون التعيين من اباطرة التانغ، وفي القرن العاشر اصبحت للقبيلة قوة عسكرية، واصبحت تعرف باسم هسيا (Hsia)[٢٨]. وفي منتصف القرن الحادي عشر، اسس زعيم التانغوت (Tangut) المدعو (Chao Yuan-hao) مملكة في شرق كانصو (Kansu)، عرفت باسم (Hsia) الغربية، وقد دحرت هذه الدولة التبت والاويغور وسيطرت على مساحات واسعة من كانصو واوردوس (ordos). وقد حاربت دولة هسيا (Hsia)، امبراطورية سونغ الشمالية، ونظراً لموقع دولة (Hsia) على الطرق التجارية لاواسط آسيا، فقد اثرت الحرب بينهما على طرق التجارة، وعلى تصريف السلع التجارية ونقلها، وفي نفس الوقت حرمت هذه الدولة نفسها من السلع الصينية - المنتجة في امبراطورية سونغ الشمالية - لذلك اصبح من مصلحة البلدين، ان يوقفا الحرب، وفعلاً تم عقد معاهدة ابرمت في سنة ١٠٤٤م تنص على ولاء دولة (Hsia) للصين، مقابل تسليم جزية



صفحة من كتاب (٨٦٨م) محفوظ في المتحف البريطاني.

سنوية تدفعها لهم امبراطورية سونغ الشمالية مقدارها ٧٠,٠٠٠ قطعة (taels) من الفضة و٣٠,٠٠٠ (catties) من الشاي و١٥٠,٠٠٠ قطعة قماش من الحرير(٢٩).

وقد تأثرت هذه الدولة بعاداتها ولغتها بسكان التبت، وعندما دحر الكين (Jungusic Juchén) دولة الخطاي (الكتان) فقدت هذه الدولة اقاليم واسعة من اراضيها، خصوصاً في اقليم شنسي، ثم تلاشت علاقة هذه الدولة مع الصين. وفي سنة ١٢٢٧م، دمر المغول هذه الدولة(٣٠).

٥ - دولة الكين Juchén (chin) ١١١٥-١٢٣٤م عاصمتها بكين:

كانت قبيلة الـ (Juchén) في الماضي جزءاً من قبيلة (Jungus)، ثم اصبحت تابعة للخطاي (Khitan) بعد انهيار نظام بوهاي (Po-hai) في شمال كوريا، وبعد نصرهم الاول على الخطاي سنة ١١١٤م، اعلن رئيسهم نفسه امبراطوراً في سنة ١١١٥م، واعطى لسلالته اسم الكين الذهبية (The golden Chin)(٣١)، ومن الطبيعي ان تحتك هذه الدولة مع سلالة سونغ الشمالية. فتحالفت كلا الدولتين للقضاء على امبراطورية الخطاي، واقتسام ممتلكاتها، فتأخذ سلالة سونغ الشمالية املاك امبراطورية تانغ المتأخرة التي تخلت عنها الخطاي، مقابل ان تدفع امبراطورية السونغ للكين جزية سنوية تقدر بـ ١٠٠,٠٠٠ (taels) من الفضة و٢٠٠,٠٠٠ قطعة قماش من الحرير. وفعلاً تم الاتفاق، فانتصر جيش الكين واحتل (Yenching) بكين اما جيش سونغ الشمالية فقد دحر. ولم يتخل الكين عن بكين، إلا بعد ان اجبروا الامبراطور السونغي (Hui Tsung) على دفع مليون قطعة نقد (Strings)(٣٢).

ثم توسعت سلالة الكين، باتجاه الجنوب، بعد سقوط سلالة الخطاي في سنة ١١٢٥م(٣٣)، وتقدمت باتجاه عاصمة السونغ الشمالية (Kai-feng)، حيث حاصرتها جيوش الكين واسقطتها في سنة ١١٢٧م، واسر الامبراطور السونغي هو ووالده، اما اخوه (Kao Tsung)، فقد فرّ من الاسر، وهرب إلى الجنوب، حيث اسس سلالة سونغ الجنوبية(٣٤). وقد نظمت المقاومة ضد سيطرة الكين في اقاليم متعددة امثال هوبي (Hopei)، وشانسي (Shansi)، حيث شاركهم الجيش السونغي بقيادة القائد (Tsung Tseh)، فدحروا جيش الكين، واستردوا منه اعداداً كبيرة من السكان، والكثير من الثروات، وكانت خطة (Tsung Tseh)، هي متابعة الهجوم ضد الكين شمالاً، إلا ان الامبراطور لم يستجب له(٣٥). وبعد وفاة هذا

القائد العسكري اندفع الكين، حتى عبروا النهر الاصفر باتجاه الجنوب[٣٦]، ثم جرت بين الكين والسونغ حرب في سنة ١١٤٠م. وضعت بعدها معاهدة سنة ١١٤١م، والتي نصت على تنظيم الحدود بين الدولتين، فوضعت مناطق واسعة شمال وادي نهر هواي (Huai) وممر تاسان كوان (Tasankuan) في شنسي تحت سيطرة الكين، بالاضافة إلى جزية سنوية مقدارها ٢٥٠,٠٠٠ قطعة نقد من الفضة و٢٥٠,٠٠٠ قطعة قماش حريرية[٣٧].

وعاش افراد هذه السلالة كطبقة ارستقراطية في المجتمع الصيني، حصلت على امتيازات متعددة منها الاعفاء من الضرائب والحصول على الامتيازات العسكرية[٣٨]، كما سخرت هذه الاسرة الشعب الصيني لخدمة مصالحها، حيث ذاق الشعب الامرين منها[٣٩]. إلا ان الخصومات لم تلبث ان تفشت بين قادة هذه الاسرة وخصوصاً بعد انتصار المغول عليهم واحتلالهم لبكين حيث قامت الدولة بنقل عاصمتها إلى كاي فنغ (Kai-feng) Pieng-Liang في شرق هونان[٤٠]. وفي سنة ١٢٣٤م سقطت هذه الدولة بيد المغول، وكان لاسرة سونغ الجنوبية دور مهم في القضاء على هذه الاسرة[٤١]. وبعد سقوط هذه الاسرة استخدم المغول البعض من افرادها في الادارة[٤٢].

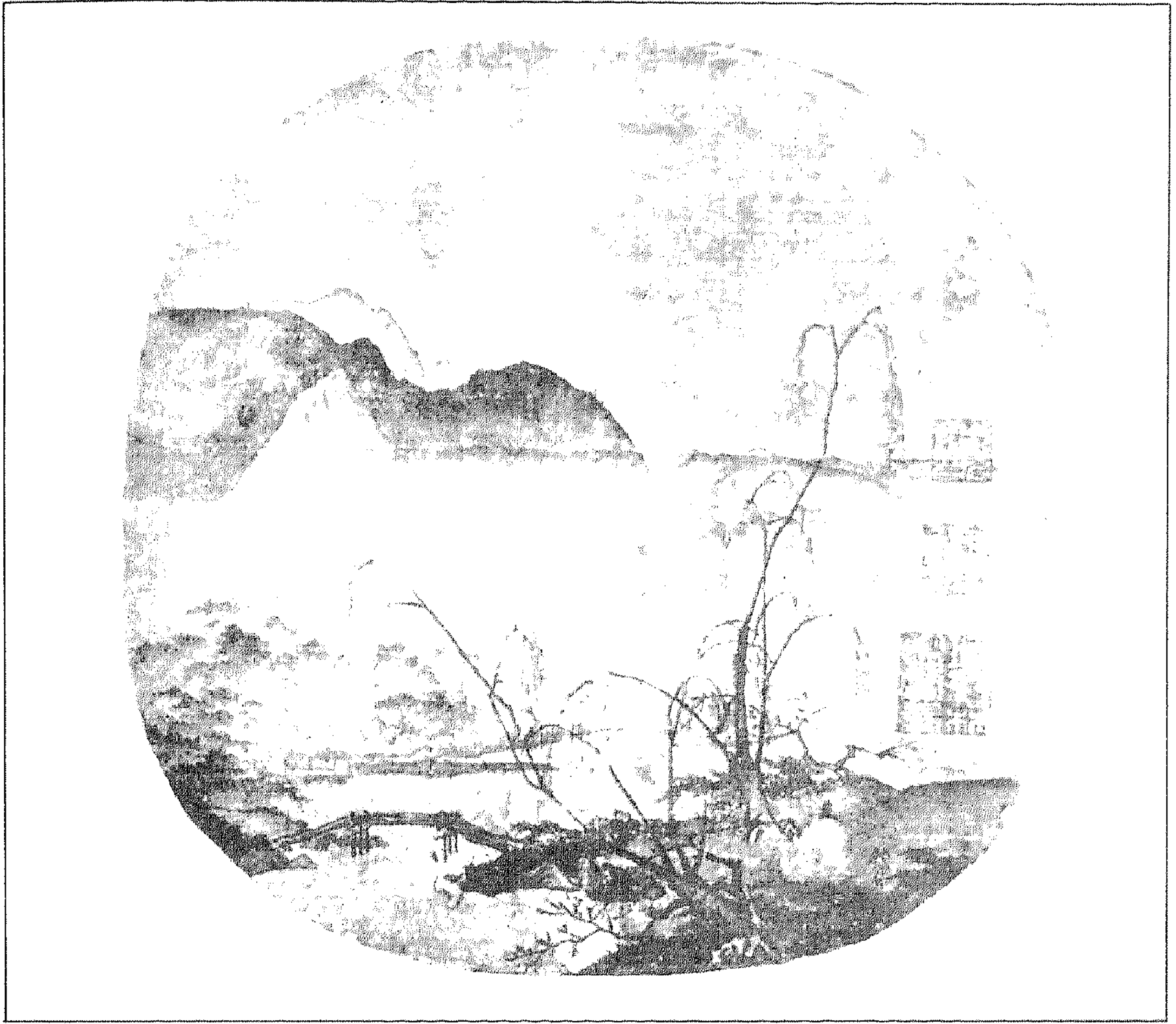
٦ - امبراطورية سونغ الشمالية (The Northern Sung Dynasty ٩٦٠ - ١١٢٦م)

في السنة الاخيرة لدولة جو المتأخرة (La-ter Chou)، كان القسم الاعظم من جيشها، تحت قيادة الجنرال (Chao Kuang-Yin)، فاستولى هذا القائد على مقاليد الامور، واسس سلالة سونغ الشمالية، وقد تمت له السيطرة بعد عدة سنوات، على مناطق متعددة من الاقاليم امثال جنك نان (Ching Nan)، وشو (Shu) وهان الشمالية (Northern Han) وهان الجنوبية (Southern Han)، ويو (Yueh) و وو (Wu) وتانغ الجنوبية (Southern Tang)، وبذلك استطاع توحيد وسط الصين. وقد سعت الدولة من اجل تأكيد سيطرتها على الاقاليم، إلى اتباع الاسلوب العسكري والسياسة، كما اخضع الجيش لقيادة الامبراطور السونغي[٤٣]، تلافيا لما قد يحدث من سيطرة قادة الجيش على مقاليد الامور كما فعل مؤسس السلالة نفسه.

وقد سعت امبراطورية السونغ إلى اعادة الوحدة إلى اراضي الصين، إلا ان محاولتها في هذا المجال باءت بالفشل، فقد دُحِرَ الامبراطور السونغي الثاني مرات عديدة من قبل الخطاي الذين كانوا مسيطرين على شمال الصين[٤٤]. ففي سنة ١٠٠٤م هاجمت دولة الخطاي اراضي سونغ الشمالية، إلا ان الهجوم، واجه مقاومة عنيفة، وانتهت هذه الحرب بعقد هدنة بين الطرفين، تدفع بموجبها سونغ الشمالية ١٠٠,٠٠٠ (taels) قطعة نقد من الفضة و٢٠٠,٠٠٠ قطعة قماش من الحرير للخطاي سنوياً[٤٥]. وتشير هذه الضرائب التي دفعت للخطاي ولغيرهم إلى عظم وارادات الدولة، كذلك لعب الاستقرار والسلم اثره النسبي في زيادة الضرائب الواردة[٤٦]، فعلى سبيل المثال بلغت ميزانية سونغ في سنة ١٠٠٠م ٢٢,٢٠٠,٠٠ (Strings).

وعندما واجهت امبراطورية السونغ قوة الخطاي في الشمال، اتجهت صوب المقاطعات الجنوبية، التي كانت امورها الاقتصادية جيدة، ولم تهتم هذه الدول الجنوبية بالناحية العسكرية، لهذا نجدها سرعان ما تنهار امام قوة السونغ، حتى ان الامبراطور السونغي (Chao Kuang Yin) (٩٦٠ - ٩٧٢م)، لم يجد صعوبة في ضم البعض من دول الجنوب، دون ان يبذل جهداً عسكرياً كبيراً، كما سعت السونغ ايضاً لبسط سيطرتها على شمال فيتنام في سنة ٩٧٣م، وكان مجال هذا التأثير سياسياً فقط، وليست له اية اهمية اقتصادية[٤٧]، ولكن هل من المعقول ان يمد نفوذ دولة لاغراض سياسية فقط دون ان يكون له اهداف اقتصادية سيما وقد اولتها الدولة اهتماماً كبيراً[٤٨].

وتعرضت سلالة سونغ الشمالية لخطر دولة هسيا (Hsia) في الشمال الغربي، حيث دفعوا لها الجزية بعد عقد معاهدة ١٠٤٤م[٤٩].



لوحة تمثل منظرا طبيعيا (١٢٠٠م).

كما دفعت دولة سونغ الشمالية ايام امبراطورها الثالث (Chen Tsung) ٩٩٨ – ١٠٢٢م اعانات مالية لسكان التبت(٥٠).

ونتيجة لهذه العلاقات الحربية مع الخطاي ودولة هسي هسيا، التي استنفذت الكثير من ابناء الصين، ومن راحة واستقرار الشعب بالاضافة إلى فقدان اقسام كبيرة من الاراضي، ودفع الجزية لهذه الدولة القوية، يضاف لها حياة البذخ التي عاشها المتنفذون في بلاط الصين، لذا اصبحت واردات الدولة لا تسد مصروفاتها، وعلى الرغم من تحديد نفقات الدولة، إلا ان المواطنين اصبحوا في حالة لا تطاق، اما الجيش الذي كان بحاجة إلى تدريب، فلم يعد قادراً على حماية حدود الدولة تجاه الخطاي والهسيا، إذ فقد الجند الانضباط العسكري، لهذا نجد ان ثورة فلاحية اندلعت خلال حكم الامبراطور (Tai Tsung) في شسوان (Szechuan) حيث دعا قائد الثورة (Wang Hsiao-Po) إلى توزيع عادل للثروة، وكسبت الثورة تأييد الفلاحين، وظلت الثورة مستمرة حتى مجيء الامبراطور (Jen Tsung) فعمت خلال حكمه البلاد كلها، وبسبب تدهور الوضع الداخلي والخارجي، لذلك تقدم بعض المصلحين باقتراحات من اجل تحسين الامور، فكان منهم رئيس الوزراء (Wang An-Shih)، إذ تقدم باقتراحات لمعالجة الوضع الراهن، ففي سنة ١٠٦٩م صدرت قوانين شملت ما يلي:

دعم الزراعة وبناء مشاريع الري واستصلاح الاراضي البور، كما حررت الفلاحين من استغلال ملاك الارض والمرابين،

باقراضهم القروض بفائدة تقدر بـ ٢٠٪ تدفع هذه القروض في وقت الزرع، لتستلم بعد ستة شهور، كما اعيد مسح الارض الزراعية، وفرضت الضرائب عليها، وبهذا ضربت طبقة مالكي الارض التي كانت تتهرب من دفع الضرائب وزادت بهذا من واردات الدولة، كما قامت الدولة بالمحافظة على الاسعار، وضرب احتكار التجار، بشراء السلع في وقت الفيض، لتعرضها في الاسواق وقت الحاجة (لضرب الاحتكار)، كما قطعت القوانين الطريق على تدخل الجيش وتقوية الدفاع الوطني، لهذا قامت الدولة بتنظيم الفلاحين طبقاً لقانون (Pao-Chia) او (tithing system) إذ يتدربون في وقت الحر، واخذوا يحلون تدريجياً محل المرتزقة، كما حافظت القوانين على وقت العمل للفلاحين (والعمال واصحاب المهن) من الضغوط والامتيازات التي تتمتع بها طبقة الموظفين، ففرضت ضرائب تصاعدية على الثروة، وبهذا وفرت الدولة اموالاً اخذت تستغلها في بناء المشاريع العامة. من هذا يتضح ان هذه القوانين قد اعطت الحق للفلاحين والسكان (عموماً) وخففت عنهم، وكبحت جماح كبار الموظفين ومالكي الارض وكبار التجار، فوضعت ١٠ ملايين (Mou) للزراعة، كما بنيت ١٠ آلاف مشروع مائي لصيانة الانهار والقنوات فازداد وارد الدولة وتقوت عسكرياً. لكن بعد وفاة الامبراطور (Shen Tsung) ورئيس الوزراء (Wang An-Shih)، ابطل العمل بهذه القوانين، إذ قاومها كبار الموظفين ومالكو الارض، واستمر البلاط على بذخة، على الرغم من معاناة الفلاحين التي لا تحتمل فقد اهملت في هذه الفترة المشاريع المائية كالسدود والجسور واهمل الاهتمام بالمدن وتحصينها، وظل الفلاحون يتأوهون تحت القسوة والضغط حتى اضطر البعض منهم لبيع اولاده، فكان ان اندلعت ثورة فلاحية في سنة ١١٢٠ م بقيادة (Fang-La)، احتلت هانكشو (Hang chow) ومعظم اجزاء شكيانغ (Chekiang)، كما برز القائد الفلاحي المشهور (Sung Chiang)في شانتونغ (Shantung) وهونان (Honan) وكيانكسو (Kiangsu)، وقد تمكنت الدولة من اخماد هذه الثورات[٥١].



لوحة من تصوير «هدّا هامر» تمثل جبلاً صينيا

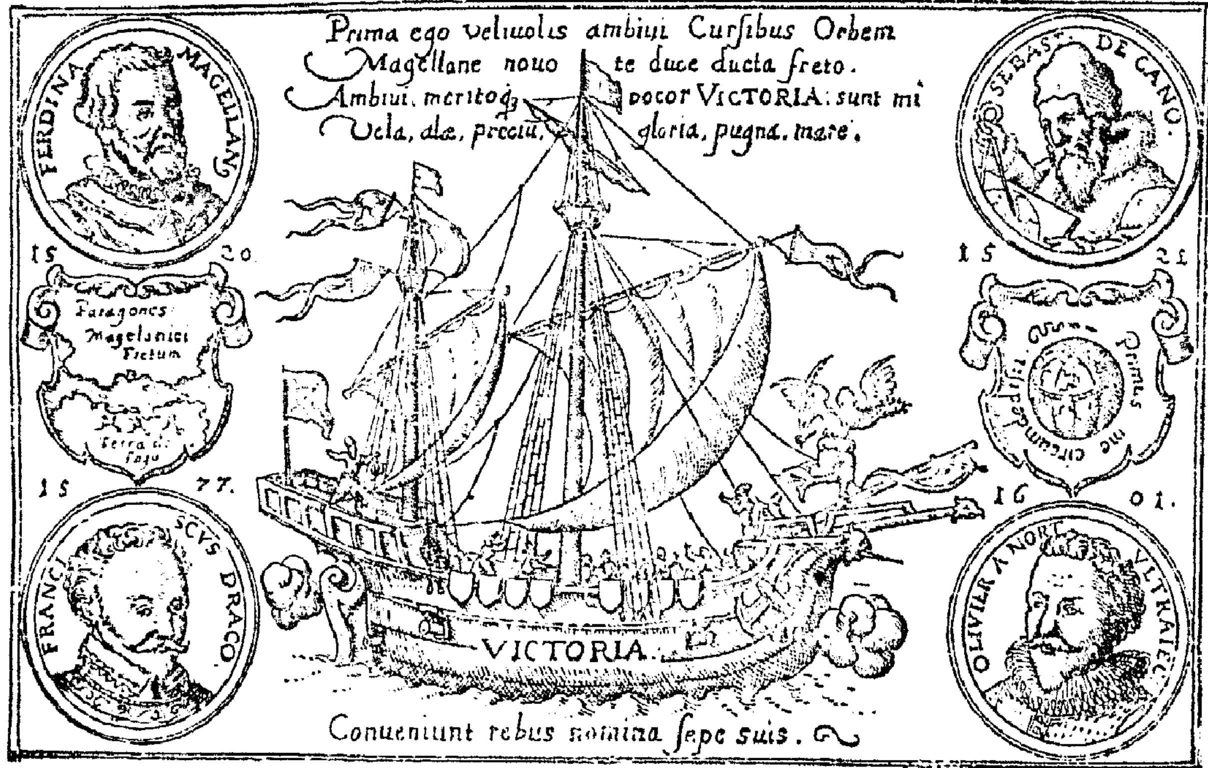
كما كان على الدولة ان تواجه تحدٍ جديد وهو بروز قوة الكين في شمال الصين، والذين سبق وان تعاونت معهم ومن اجل القضاء على امبراطورية الخطاي، لكن الكين سرعان ما اندفعوا باتجاه الجنوب، وخاضوا حروباً طويلة ضد السونغ، انتهت اخيراً بوضع معاهدة بين الطرفين تدفع بموجبها السونغ الجزية للكين(٥٢). واخيراً سقطت امبراطورية السونغ الشمالية، وحلت محلها امبراطورية الكين في سنة ١١٢٧م(٥٣).

■

هوامش

(1) Eberhard: op. cit. p. 195-196.
(2) A.O.H.C., p.126.
(3) Eberhard: op. cit. p.196.
(4) A.O.H.C., op.128.
(5) Eberhard: op. cit. p.196.
(6) Ibid: p. 199-203.
(7) A.O.H.C., p.127.
(8) A.O.H.C., p. 127.
(9) Eberhard: op. cit. p.203.
(9) Eberhard: op. cit. p.203.
(10) Ibid: p. 196.
(11) A.O.H.C., p.127.
(12) Ibid: p.128.
(13) Ibid: p. 136-137.
(١٤) من القبائل التي كانت تسكن شمال الصين، وهم خليط من المغول والتانجوت. وقد هاجروا من مواطنهم في شمال الصين إلى اقليم التركستان (الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ ج١ ص٢٣ - ٢٤ حيث عرفوا بالاتراك القراخطائيين).
(15) Eberhard: op. cit. p.225U227.
(16) A.O.H.C., p. 127.
(17) Eberhard: op. cit. p.226.
(17) Eberhard: op. cit. p.226.
(18) Ibid: p. 199.
(19) Ibid: p.203.
(20) A.O.H.C., p.127.
(21) A.O.H.C., p.137.
(22) Eberhard: op. cit. p.210
(23) A.O.H.C., p.137-taels:
وحدة نقد صينية تساوي ٣/١ اونس من الفضة الخالصة.
(24) Eberhard: op. cit. p.227.
(25) Eberhard: op. cit. p226.
(26) Ibid: p.227.
(27) Ibid: p.227.
راجع عن هذه الدولة مع التتر: ابن الاثير: الكامل ج١٢ ص٢٦٩ - ٢٧٠، بالتعاون مع الخوارزميين سنة ٦٠٥هـ.
(28) Eberhard: op. cit. p.227.
(29) A.O.H.C., p.138.
(30) Eberhard: op. cit. p.228.
اما Fitzgerald فيشير إلى ان المغول دحروا هذه الدولة سنة ١٢٢٤م.
Fitzgerald: A concise History of East Asia. 1978 Australia.. p.57.
انظر كذلك عن حروب هذه الدولة مع المغول
(30) Martin, H. Desmond, 'The Mongol wars with HsiHsian (1205-1227) «Journal of royal Asiatic Society 1942» 195-228.
(31) Eberhard: op. cit. p.234.
(32) A.O.H.C., p.145. (String):
(وحدة نقد صينية تساوي ١ اونس من الفضة الخالصة).
(33) Ibid: p. 145.
(34) Ibid: p. 145-146.
(35) A.O.H.C., p.147.
(36) Ibid: p.148.
(37) Ibid: p.148-150.
(38) Eberhard: op. cit. p.234-235.
(٣٨) راجع تفصيل القضاء على مملكة كين السيد الباز العريشي: المغول ص١٦٣ - ١٦٤، بروي: المصدر السابق مجلد ٣ ص٣٥٣ - ٣٥٤.
(39) A.O.H.C., p.151.
(40) Eberhard: op. cit. p.235.
(٤١) العريني، السيد الباز: المغول دار النهضة العربية بيروت لبنان ١٩٦٧ ص١٦٤م.
(42) Eberhard: op. cit. p.236.
(46) Eberhard: op. cit. p.211.
(47) Ibid: p.210.
(٤٨) زيادة، نقولا: (الجزيرة العربية في كتابات المؤرخين الصينيين) مجلة المؤرخ العربي العدد٦، الرباط ١٩٧٨ ص١٢٨.
(49) A.O.H.C., p.138.
راجع كذلك دولتي Hsia-Hsi.
(50) Simkin: op. cit. p.93.
(51) A.O.H.C., p.141-144.
(52) Ibid: p. 178-150.
(53) Weiderfeld: op. cit. p.22.
راجع كذلك عن العلاقة بين الكين وسونغ الشمالية في نفس البحث.

أول دورة حول الأرض



ماجيلان

لم يكن للعلم ان يتطلع إلى «الغد وبعد الغد»، لو لم تكن في صفحات العلم الماضية احداث بطولية مجيدة، خاض فيها العلماء معارك ضارية في ظروف كانت معادية للغاية . وهذه صفحة من صفحات البطولة ، خطها رجل بشجاعته وسعة افقه ، ودفع فيها حياته ثمنا ليثبت ان الارض مستديرة، في وقت كان القول فيه ان الارض كرة، يعتبر كفراً :

وصلت سفن ماجيلان الخمس، التي كانت تبحث عن طريق للوصول إلى الهند، من خلال الإبحار غرباً، وصلت إلى الشواطىء الاميركية، بلا حادثة تذكر، سوى بعض مظاهر العداء التي كان يبديها قباطنة «سان انطونيو» و «كونسبسيون» و «فكتوريا» الاسبانيون ، تجاه ماجيلان، وبذور التمرد التي حاولوا بذرها بين افراد الطواقم.

وايقن ماجيلان سريعاً، ان المضي في

الرحلة كان ضرباً من الجنون، وانه لا يستطيع مواجهة العواصف الرهيبة التي تسود المنطقة في ذلك الفصل. فأمر السفن الخمس باللجوء إلى جون ناء عن الرياح من كل جانب. وكان هذا الجون مثيراً للغم إلى حد بعيد، فكانت موجات جليدية سوداء تلطم جوانب السفن. اما الشاطىء فكان خالياً تماماً من الشجر. وحتى الطيور هاجرت، عندما احست باقتراب الشتاء، فتركت المكان في جو حزين.

وبعد شتاء قاس استمر خمسة اشهر، استأنفت البعثة سفرها نحو الجنوب بحثاً عن المضيق المنشود. كان الشتاء يشد الرحال، لكن المشكلات لم تنفك تتراكم. فقد جنحت السفينة «سانتياغو»، اسرع السفن الخمس، وتحطمت بعد ان قذفتها عاصفة شديدة إلى الشاطىء وتمكن طاقمها من النجاة، وتوزع على السفن الاربع الباقيات.

لكن يوم النصر اطل. فعند طرف رأس مرتفع، ظهر خليج عميق، كان يبدو متصلاً بالمحيط الآخر. لكن مياهه كانت تتجعد بقوة تحت سياط رياح عاتية .

عند ذاك ارسل ماجيلان سفينتين للاستطلاع. وقد عادتا بعد ايام، واستخدمتا طلقات المدافع والاعلام المرفرفة وصيحات الفرح، لتبليغ ماجيلان ان الاكتشاف الكبير قد تحقق: لقد تم اخيراً اكتشاف المضيق المنشود!

ولا حاجة لوصف مشاعر ماجيلان في تلك اللحظة. فجهوده وتضحياته وتعرضه للمخاطر وآلامه لم تذهب سدى. وقد اصبح المضيق يحمل اسم مكتشفه، وفي امكانك ان ترى ذلك على الخريطة.

عند هذا الحد كانت مرحلة جديدة تبدأ في رحلة ماجيلان. فقد بدأت السفن الاربع تشق طريقها بحذر شديد. فقطعت المضيق في شهر، حتى ظهر اخيراً منفذ إلى المحيط الجديد الذي كان الاوروبيون يجهلونه. وكانت الفرحة من القوة ما جعل ماجيلان الصارم يبكي.

واصبحت المهمة الآن الاسراع للوصول إلى جزر التوابل والفلفل. لكن كارثة جديدة كانت تنتظر الرحلة التاريخية عندما كانت تعبر عتبة الانتصار، فقد تمرد مساعد قبطان «سان انطونيو» وسيطر على السفينة وعاد سراً إلى اسبانيا. وقد وجهت هذه الخيانة ضربة قوية إلى ماجيلان. لان السفينة كانت اكبر السفن الاربع، وكانت تحمل القسم الاكبر من المؤن الجيدة.

ماذا كان على ماجيلان ان يعمل في هذه الظروف؟ لم يكن قد تبقى لديه سوى ثلاث سفن والقليل من المؤن.

– سنتابع طريقنا حتى لو اضطررنا إلى اكل الجلد الذي يغلف العتاد!

هذا ما قاله بحزم واصرار. وفي ٢٨ تشرين الثاني ١٥٢٠ انطلقت البعثة إلى رحاب المحيط الكبير الذي لم يكن اوروبي قد اجتازه بعد. ولو كان ماجيلان يعرف هول المسافات التي كان يبقى عليه اجتيازها، بسفنه المهلهلة واشرعتها المقطعة، لما كان جازف بالاقدام، لكنه كان يجهل ضخامة المحيط.

فقبل ماجيلان لم يكن البشر يعرفون مدى اتساع الكرة الارضية. ولذلك اعتقد الرحالة الكبير ان عليه ان يقطع ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ كيلو متر اخرى ليصل إلى جزر الشرق الاقصى. والحق ان المسافة الحقيقية كانت ١٨ الف كيلومتر. وقد استقبل المحيط الجديد البعثة التاريخية في ظروف جوية ممتازة، وكانت الشمس تبعث الدفء في أوصال البحارة الذين قاسوا البرد طويلاً، وكانت ريح لطيفة تدفع السفن باتجاه الغرب . وقد استحق المحيط على هذا الاستقبال الودي، اسم المحيط الهادىء. غير انه لم يكن ملتزماً بهذه التسمية على الدوام، فاستحق اسماً آخر هو المحيط الكبير، نظراً إلى اتساع مساحاته.

ومرت الاسابيع، وانقضى شهر، ثم شهران، والمياه لا تزال تمتد على مدى الافق، حتى دقت ساعة المجاعة. واكتشف ماجيلان ان اعداءه دسوا، في اثناء التحضير للرحلة، صناديق مليئة بالاقذار بين صناديق المؤن. وحتى تكتمل الكارثة، هاجمت الجرذان الصناديق المتبقية. وقد اخذ البحارة في مطاردتها، فإذا ما غنموا بواحد منها اقاموا

وليمة عليه. وكانت مؤونة النبيذ قد نفدت منذ مدة، واخذت المياه تأسن في البراميل. وكانت رائحتها كريهة إلى درجة ان الشرب منها كان يقتضي سد الانف.

وجاء اليوم الذي تحققت فيه نبوءة ماجيلان البائسة. فقد اخذ البحارة يأكلون الجلد، بعد نقعه اياماً في مياه البحر، وتقطيعه قطعاً صغيرة قابلة للابتلاع. فقد كان يستحيل مضغ الجلد. وعمت اوجاع بطن رهيبة جميع افراد الطاقم.

وما كاد الشهر الثالث يطوى، حتى بدأ البحارة يموتون فيلقى بهم إلى البحر ليأكلهم سمك القرش. وعم الذعر، واحس البحارة الضياع في هذه الرقعة المائية الشاسعة. وظنوا انهم لن يروا اليابسة مرة اخرى. لكن ماجيلان كان يرى تماماً ان العودة من حيث اتى، لم تكن سوى فكرة سخيفة. وكان يؤمن بأنه سرعان ما سيصادف اليابسة، في حين ان المؤن لم تكن كافية لرحلة العودة.

لكن رؤية اليابسة انتظرت ثلاثة اشهر ونصف الشهر من المعاناة القاسية إلى اقصى الحدود. ولما صادفوا اليابسة، كانت عبارة عن جزر جرداء تماماً، لا عشبة فيها ولا قطرة ماء. لكن مجرد اكتشاف هذه الجزر بعث الامل في قلوب البحارة، فقد شارفوا على قطع صحراء المياه الشاسعة، وكان لا بد لهم ان يصادفوا قريباً ارضاً غنية بالماء والطعام. وبالفعل، كانت توقعاتهم صائبة. ففي السادس من آذار ١٥٢١ اكتشف البحارة جزيرة رائعة تنتصب عليها اشجار النخيل وتترقرق فيها سواقي المياه العذبة. وكانت الجزيرة مأهولة، يمارس اهلها تربية المواشي. وكان يمكن للبحارة اذن ان يتناولوا اللحم الطازج. وقد ظنوا انهم وصلوا إلى نهاية آلامهم. وكانوا يقدرون ان السفن الثلاث ستبحر من جزيرة إلى جزيرة حتى تصل إلى اوروبا حيث يقطفون ثمار انجازهم المجيد.

لكن تلك كانت آمالاً وحسب. لان مصائب جديدة كانت تنتظر ماجيلان وجماعته، لا بسبب قسوة الطبيعة هذه المرة. بل بسبب نهم البحارة إلى الغنم والكسب. فقد انغمس ماجيلان في الخلافات بين القبائل في جزر الفيليبين. وكان يريد ان يفرض عليهم سلطان اوروبا بقوة السلاح، فقاد ستين من رجاله المسلحين ليواجه الفاً من مقاتلي الجزر، المسلحين بالاقواس والسهام. هناك لاقى ماجيلان حتفه. قبل ان يتوج انجازه.

وبعد موت ماجيلان وعدد من رفاقه، تجولت سفن البعثة طويلاً في البحر بين الجزر الآسيوية والاوسترالية. ولم يكن قد تبقى من السفن غير اثنتين «ترينيداد» و «فكتوريا». اما «كونسبسيون» البالية. فقد احرقت، حتى لا تقع في ايدي سكان الجزر.

لكن «ترينيداد» كانت هي الاخرى اعجز من ان تصل إلى اوروبا. فتقرر ان تتوقف بعض الوقت، لاجراء تصليحات فيها. في حين تواصل فكتوريا سفرها إلى اوروبا دون إبطاء، وعلى متنها ٤٧ بحاراً يقودهم القبطان سيباستيان دل كانو، احد امهر الضباط الذين بقوا احياء.

ولم تتمكن «ترينيداد» في الواقع من الوصول إلى اسبانيا. لكن اربعة من طاقمها استطاعوا ان يعودوا بعد غرقها. وهكذا يممت «فكتوريا» شطر اوروبا، بعد ان تزودت بالمؤن والمياه.

لكن ما تبقى من رحلتها كان رهيباً، إذ ان المؤن تعفنت والمياه اسنت. وكانت السفينة تحمل ٢٦ طناً من الافاوية والتوابل. هي في الواقع ثروة ضخمة في حساب ذلك الوقت. وقد حصل البحارة على هذه التوابل عن طريق المقايضة في الجزر الشرقية. لكن التوابل لا تؤكل، بل هي تستعمل لتبهير الطعام. وهذا الطعام لم يكن متوفراً.

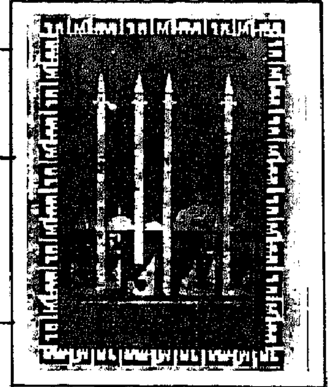
لكن «فكتوريا» وصلت مع ذلك إلى اشبيلية في الثامن من ايلول ١٥٢٢. وكان يقف على متنها، تحت العلم الاسباني ١٨ رجلاً فقط. وهكذا اكتملت اول رحلة حول الارض.

وقد سر التجار بهذا الانجاز. فالتوابل التي حملتها السفينة كانت كافية لسد نفقات الرحلة تماماً بما فيها ثمن السفن. صحيح ان ١٦٠ بحاراً واكثر لاقوا حتفهم في هذه الرحلة. لكن ذلك لم يكن ليضيرهم فالاموات لا يطالبون بالتعويض.





كتب وردتنا



من تراثنا

مائة أوائل

تأليف : الدكتور سهيل زكار و المحامي أحمد سبانو

مراجعة : د. محمد مخزوم

صدر عن دار الملاح في دمشق كتاب «مائة اوائل» في ظل عنوان بارز... من تراثنا لان الغاية الاساسية للمؤلفين من وضع هذا الكتاب كما يظهر من تقديمه هي الكشف عن تراثنا الذي ما زال يحوي اعداداً لا تحصى من الاوائل كل منهم يستحق الدراسة والذكر.

يرصد الكتاب سيرة مائة علم، جلهم من المغمورين، الذين لعبوا دوراً مهماً في تاريخ العرب والاسلام منهم الفيلسوف والاديب والفنان والمشرع والرياضي والفلكي والسياسي والجغرافي والمؤرخ مع دراسة لسيرة الرسول والخلفاء الراشدين والفقهاء وبعض الخلفاء الامويين والعباسيين والفاطميين. وهكذا يحدد المؤلفان الغاية من وضعهما لهذا الكتاب بقولهما:

«ان الكتاب الذي نقدمه اليوم للقارىء يبحث في قضايا تاريخ امتنا وماضيها من خلال افراد، وهو قد اتخذ الافراد رمزاً لقضاياهم اسهموا فيها فأثروا وتأثروا، انه على هذا الاساس لا يمجد دور الفرد البطل في صناعة احداث التاريخ، ولكن بنفس الوقت لا يلغي هذا الدور، بل يضعه في مكانه الطبيعي. ص٨.

إن هذا الكتاب يشكل مساهمة تاريخية قيمة في مجال البحث عن تاريخنا من خلال المخطوطات العديدة التي ادرجت في لائحة المصادر. فيفيد منه الباحث المؤرخ في معرفة الحقيقة التاريخية لما يوفره الكتاب من الادلة الكافية والقناعات. كما يفيد منه القارىء المثقف لما يحويه من حرارة تراث الامة العربية وما قدمته للحضارة العالمية من العلوم والفنون بمختلف انواعهما.

إن «مائة اوائل» يقدم لنا عرضاً زاخراً بالمعلومات ذات ارضية موثقة ومشبعة معاً بالروح العلمية والنقدية يجذب القارىء باسلوبه الواضح والمتماسك حتى ليصح القول انه كتاب جميع المتخصصين.

■

مواعيد رحلات طيران الشرق الاوسط الى

الخليج

الكويت : يوميًا ماعدا السبت الإقلاع الساعة ١٨،٣٠

الظهران : يوميًا ماعدا الثلاثاء الإقلاع الساعة ١٨،٢٠

البحرين : يوميًا الإقلاع الساعة ١٧،٥٥

الدوحة : يوميًا الإقلاع الساعة ١٧،٥٥

دبي : يوميًا الإقلاع الساعة ١٨،١٠

ابوظبي : يوميًا الإقلاع الساعة ١٧،٤٠

مسقط : أيام الاثنين - الاربعاء والجمعة الإقلاع الساعة ١٨،١٠

رأس الخيمة : يومي الثلاثاء والسبت الإقلاع الساعة ١٨،١٠

للاستعلامات والحجز راجعوا وكيلكم للسفر المعتمد لدى «اياتا» أو مكاتب الشركة :

مركز جفينور ت : ٣٦٨٠٠٠ — صيدا ت : ٧٢١٤٦٠

مكتب المبيعات في الادارة العامة ت : ٣١٦٣١٦ — طرابلس ت : ٦٢٧٢٧٥

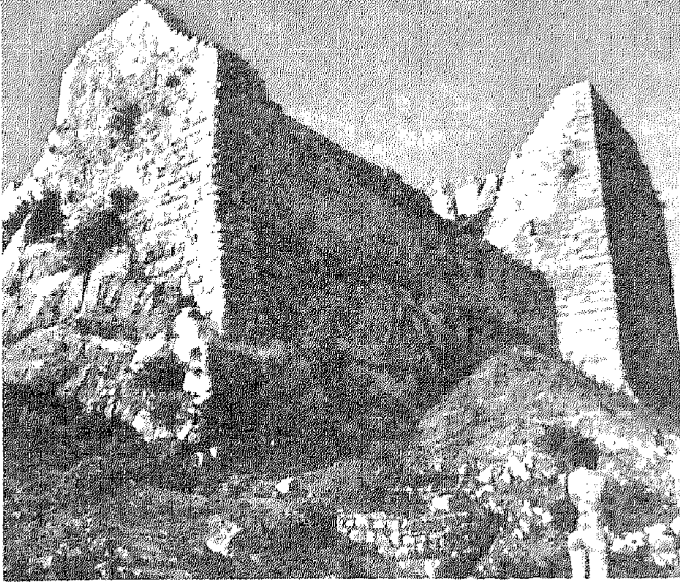
أوتيل الكسندر ت : ٣٣٩٩٣٠ — بحمدون ت : ٥٦٠٥٠٥

مكاتب الحجز تفتح ليلًا نهارًا ت : ٢٧٤٣٣٠ / ٢٩٢٢٢٠



* بالإشتراك مع طيران الخليج

المسابقة



تاريخ وأسماء ومعالم القرى والأحياء في الوطن العربي ٧

إلى القراء الاعزاء:

ترغب مجلة «تاريخ العرب والعالم» ان تفتح بابا خاصاً للقراء، لا سيما للطلاب في الثانويات والجامعات، تدعو فيه الى الكتابة المختصرة في موضوع: «تاريخ واسماء ومعالم القرى والاحياء في الوطن العربي». والمجلة إذ تفتح باب هذا الموضوع تخصص مكافأة قدرها ١٠٠ ليرة لبنانية، او ما يعادلها للفائز الاول، واشتراكا سنويا في المجلة للفائز الثاني، على ان تتضمن المساهمة المقدمة معلومات جديدة وشيقة عن القرية او الحي او المعلم وعن تاريخه واسمه وظروفه، او ما يحتوي من آثار عمرانية قديمة او مظاهر حضارية، واذا امكن صورة فوتوغرافية مأخوذة للحي او للقرية او لاي مظهر عمراني او اثري فيها، كذلك على ان لا تتجاوز المساهمة الـ ٢٠٠ كلمة، مطبوعة على الالة الكاتبة او منسوخة بخط واضح جميل، والّا اضطررنا آسفين لاهمالها.

هذا، واذ تشدد المجلة على جدة المعلومات الواردة، تطلب من الكتاب الاعزاء ان يتقيدوا باصول الكتابة العلمية وان يشيروا الى مصدر الاقتباس، وتترك لهيئة التحرير حقها في اختيار المساهمات الصالحة للنشر، وكذلك اختيار المساهمات الفائزة: اذ من حصيلة ما يصل الينا ستختار هيئة التحرير ثلاث مساهمات للنشر في كل عدد بينها المساهمتان الاولى والثانية الفائزتان بالمكافأة.

نرجو من المشترك ان يكتب اسمه وعنوانه بخط واضح في نهاية مقاله وان يرسله الينا بالبريد

تعتبر المواد المرسلة ملكاً للمجلة، إذا نشرت او لم تنشر.

تشكر إدارة التحرير جميع المشتركين في «المسابقة» على مساهماتهم ويسرها أن تعلن فوز الاخ جبران عبد اللطيف – الزنقة – المملكة المغربية باشتراك سنة لتقيّده بالشروط المطلوبة وتنوّه بالرسائل الباقية وستنشر جميعها تباعاً في باب القراء يكتبون.

صفرو

واحة بدون نخيل

وصف جميل اطلقه احد الشعراء على مدينة صفرو، كانت هذه المدينة تسمى صفرون نسبة إلى فرقة من الخوارج كما جاء في كتاب لأحد المؤرخين المغاربة حيث اشار: ثم زحف علي ابن عمر بن ادريس إلى قرية صفرون فدخلها وبايعه كافة البربر الصفرونية ....الخ.

موقعها:

شمالاً: تحدها سلسلة جبال الريف.

شرقاً: تقع عتبة تازة، الممر الخطير الذي لعب دوراً فعّالاً في تاريخ المغرب.

جنوباً: سلسلة جبال الاطلس المتوسط التي تحتضن مجرى لنهر من اعظم الانهار المغربية الذي قالت فيه العامة: «اللي يشرب من سبو ينسى حسبه».

غرباً: تمتد السهول الخضراء المترامية الاطراف كأنها تقترب من مياه المحيط الاطلسي في تدلل وحياء.

إن مدينة صفرو باب من الابواب المطلة على الصحراء وموقعها هذا بين الجبال والسهول والصحراء جعلها تحتل اطماراً خلاباً من جبال ثلجية وسهول مخضرة تمتد على مرمى البصر، تثير في النفس الراحة والهدوء وسر اخضرار حدائق المدينة وجمالها يرجع عهده إلى ما قبل التاريخ، اذ تتخلل مياهه الدافقة البيوت والمساجد والحدائق، وهذا ما ساعد على توفر المدينة على انواع من الفواكه مثل الجوز والزيتون والفاكهة التي تقام لها كل سنة حفلات شيقة الا وهي فاكهة حب الملوك او الكرز.

وسكان مدينة صفرو من اقدم سكان المغرب تدل على ذلك الكهوف التي ربما كانوا يستعملونها بيوتاً تحميهم من قساوة الطبيعة، وحين امتدت قساوة الغارات القبلية بين سكان المنطقة اتخذ سكان مدينة صفرو مأوى لهم من غارات الغير، بيوتاً محصّنة احيطت بأسوار كالقلعة الموجودة الآن على ضفتي نهر اكاي، قرب مصب الشلال الذي تشتهر به هذه المدينة، وهكذا اصبح الفن المعماري متأثراً بظروف وليدة الحياة الاجتماعية والتاريخية للمنطقة قبل ان تتأثر المدن المغربية الاخرى بالفن المعماري الاندلسي، ومهما يكن من امر فإن المدينة لم تبدأ حياتها التاريخية إلا بعد ان نزل المولى ادريس الثاني سنة ٨٠٠ ميلادية قبل تأسيسه مدينة فاس.

والمؤرخ ابن زرع في كتابه «روض القرطماس» يذكر لنا ان المولى ادريس حين كان يبحث عن بقعة صالحة لتأسيس مدينة فاس، نزل صفرو، فاستقبله اهلها، استقبالاً حاراً وحسناً وبايعوه، فقال مولاي ادريس:

«انهم احبونا» فكان ذلك سبباً في تسمية الحي الكبير الآن بالمدينة بحي «حبونة».

ويغادر المولى ادريس صفرو متوجهاً إلى فاس.

وتشهد هذه المدينة، نمواً اجتماعياً وسياسياً ومعمارياً وثقافياً لم تشهده مدينة صفرو حيث بقيت متواضعة الشيء الذي حدا بالصفريين إلى ترديد عبارة «من مدينة صفرو إلى قرية فاس» مثالاً وينسب هذا القول إلى المولى ادريس حين غادرها.

جبران عبد اللطيف

القطيف

تقع مدينة القطيف في المنطقة الشرقية بالسعودية على ساحل الخليج العربي وتضم منطقة القطيف مدنا تاريخية قديمة اهمها مدينة القطيف نفسها واسمها مشتق من القطف وهو القطف من العنب لانها كانت في الماضي تنتج تسعة انواع من العنب، ويقول بعض المؤرخين ان اسمها في الاصل محرف عن كتيوس Cateus وهو الاسم القديم الذي ذكره مؤرخو اليونان لهذه المنطقة ومدينة القطيف قديمة جدا وتدل الحفريات على ان القطيف يعود تاريخها الى آخر عهد من عهود العصر النحاسي، اي في حدود ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد وتتكون واحة القطيف من غابة كثيفة من النخيل، وبالقرب من القطيف تقع جزيرة تاروت وهي في قلب خليج كيبوس ولا تبعد عن القطيف الا خمسة كم واسمها التاريخي تاروس Tarrus واطلق عليها اليونانيون اسم «تارو» ويقول البعض ان اسمها في الاصل عشتاروت وانها كانت معبدا لعشتاروت التي كان الفينيقيون يأتونها ويقول البعض ان هذه الجزيرة كانت موطنا قديما للفينيقيين قبل نزوحهم الى شواطئ البحر المتوسط وفي طرف جزيرة تاروت تقع بلدة دارين الشهيرة والتي كانت سوقا من اسواق الجزيرة العربية الهامة وميناء رئيسيا وقد تردد ذكرها كثيرا في الشعر العربي والتاريخ الاسلامي قال فيها الاعشى

يمرون بالدهنا خفاقا عيابهم
ويرجعن من دارين بجر الحقائب

ومدينة القطيف التي تواجد فيها الحجر الاسود في عام ٣١٧هـ عندما سرقه القرامطة بقيادة ابي الطاهر القرمطي ودام فيها ٢٢ عاما حتى سنة ٣٣٩هـ عندما اعادوه سرا.

ويبلغ عدد سكان القطيف حوالي ٤٠ الف نسمة.

محمد موسى علي الاقزم
القطيف - المملكة العربية السعودية

قصر العظم



سورية بلد عريق في اصالته الشعبية، فالعمائر الجميلة والفنون العريقة توحي إلى الزائر بأن هذا البلد عريق منذ قرون طوال. وقصر العظم احد العمائر العريقة يحوي على العديد من المناظر الجميلة التي تجذب انتباه كل زائر يدخل هذا القصر.

بنى هذا القصر اسعد باشا العظم /١٧٥٠/ وقد بالغ جداً في زخرفته حتى اصبح آية في الابداع وجمال الزخرف.

يحوي القصر على قسمين في الجهة اليمنى منه يسمى السلاملك واليسرى يسمى الحرملك.

وهذان القسمان من اجمل الاقسام ففيهما العديد من اشجار الزينة واشجار الحمضيات التي تزين باحة القصر.

ومن المعروضات الموجودة في غرف القصر نماذج من الاثاث الخشبي المصدّف وقاعات مفروشة على الطراز العربي فيها مجموعة من الكؤوس وقوارير العطور والاباريق والمزهريات.

وهناك قاعة تمثل المحمل الشامي الذي كان يحمل على جمل وامير العجم يمشي امام المحمل وعُرض إلى جانبه حزام الكعبة المشرفة.

وهناك لوحة آية من الإبداع مشكلة من اجزاء الطوابع البريدية تمثل المصلين وعُرضت بعض المصاحف المخطوطة وحبة قمح كتبت عليها سبعة ابيات من الشعر. والحمام ابدع ما بني في القصر، مؤلف من ثلاثة اقسام.

أ – البراني (المشلح)

ب – الوسطاني (للاستراحة)

ح – الجواني (للاستحمام).

وهناك قاعة تمثل الحياة في جبل العرب وحوران وزفاف العروس.

وقاعة اخرى تمثل المقاهي الشعبية قديماً ومشاهد تعرض صناعة الزجاج وحفر النحاس وتنزيل الفضة والذهب مكانه.

ويعتبر قصر العظم اية في الإبداع والفن الشرقي الأصيل ومفخرة لكل انسان في القطر وكل انحاء الوطن العربي.

وليد ابراهيم الأسود
الجمهورية العربية السورية – دمشق





بريد القراء

حبران عبد اللطيف – صفرو – المملكة المغربية.

• اشكر جميع اعضاء اسرة مجلة «تاريخ العرب والعالم» على المواضيع التاريخية المدروسة واتمنى للمجلة دوام الاستمرار والنجاح.

■ نشكر للاخ جبران شعوره النبيل تجاه المجلة وتجاه جميع العاملين فيها ونأمل ان نوفق بمهمتنا الصعبة.

• عبد الغني محمود – عمّان – المملكة الاردنية الهاشمية.

• تأكدوا ان للظلم جولة وللحق جولات وجولات، آملاً ان تظل مجلتكم الرائعة نبراساً يبدد الظلمات على الدوام، فما احرانا امة باستلهام العبر من فم التاريخ، وتاريخنا خير في غابره من حاضره الماثل الواقع، وعليكم وعلى الطاقات الشابة المدرعة التي تحمل من التاريخ اشراقاته تقع المسؤولية للقيام باعباء نشر هذا التاريخ للاخذ والمقارنة واستخلاص العبر للخروج بكل مفيد.

■ ماحوجنا في هذه الايام القاسية الى نور يبدد الظلمات وينير طريقنا نحو العزة والكرامة والقوة. بالنسبة للاعداد الناقصة، تستطيع الحصول عليها من قسم الاشتراكات مقابل خمس ليرات لبنانية عن كل عدد.

• نبيل سحمراني – بيروت – لبنان.

• كنت اتمتع دائماً بدراساتكم التاريخية القيّمة التي كانت تعالج تاريخ الطوابع والشطرنج.. وفجأة انقطعت عني وعن العديد من امثالي الذين وجدوا فيها متعة لا تعوض.

■ نعدك بالمزيد من هذه الدراسات في المستقبل القريب إن شاء الله

مجلة
دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبدالله الغنيم

مدير التحرير
عبدالعزيز السيد أحمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ٠٠٠ر١٠٠ قاريء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- ابواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — ببيليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

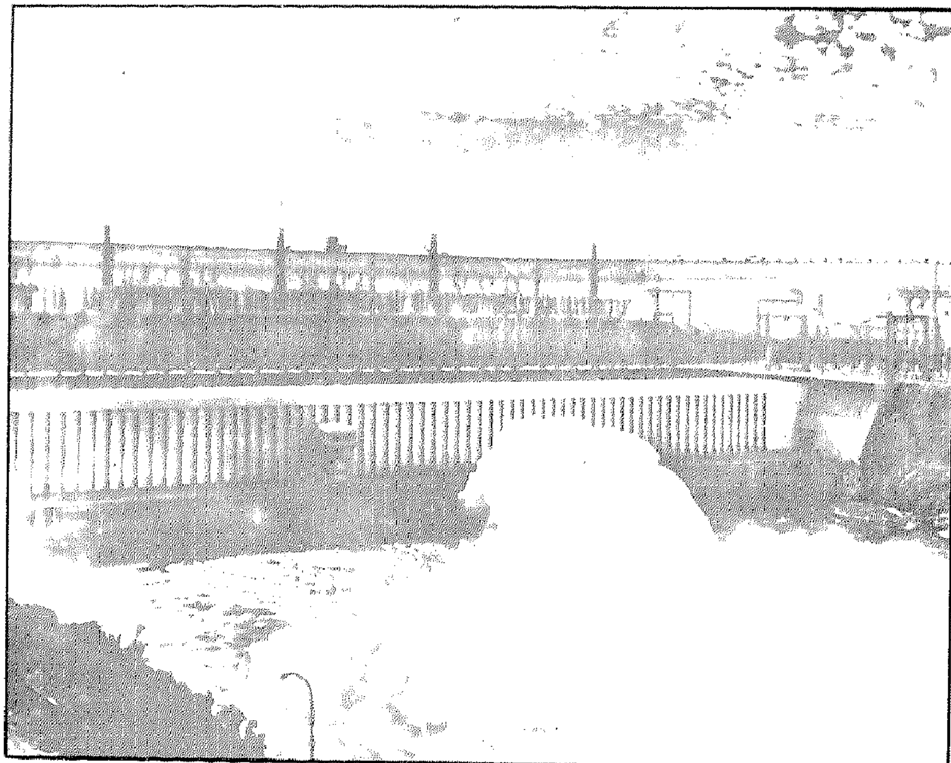
الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت — كلية الاداب والتربية — الشويخ — دولة الكويت
ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)
هاتف : ٨١٦٨٠٧—٨١٦٧٩٩—٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

في العدد المقبل



السد العالي
في ميلاده
الواحد
والعشرين



بسمارك : رائد
الوحدة الألمانية

